الإعجاز البلاغي

في سورة العلق

إعداد

د/ فايزة عبد الحميد فهمي

مدرس البلاغة

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية

للبنات بسوهاج

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمـــد لله رب العالميـــن. الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين . إياك نعبد وإياك نستعين. خلق الإنسان ، علمه البيان ، وميزه عن سائر مخلوقاته بـــالعقل واللسان، ثم قال لرسوله الكريم اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم.

والصـــلاة والســـلام على أشرف المرسلين من جرى على لسانه جوامع الكلم، وروائع البيان ، فكان أفصح من نطق بالضاد.

اللهم صلى وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الأبرار الأعلام، ومن تبعهم بإحسان إلي يوم الدين.

أما بعد....

فـــإن القـــرآن الكريم كتاب الله المعجز الذي يجد فيه الباحث في شتى مناحي المعـــرفة مـــا يـــأخذ النظر ، ولذلك نرى كثيراً من البلاغيين وجهوا عنايتهم للأســـلوب القرآني في معانيه ونظمه، فهؤلاء استرعى اهتمامهم جمال التعبير الذي وصل إلي حد الروعة الخارقة، وأقرت الألسنة أمامه بالضعف.

ولقد وجدت في نفسي الرغبة الصادقة في المشاركة في هذه الحركة التي لن تنقطع إن شاء الله تعالى ، فأودعت ما مَن الله علىّ بإيضاحه وإظهاره وبيانه هذا البحث وسميته " من الإعجاز البلاغي في سورة العلق " .

فهـو دراسـة تحليلـية بلاغية لسورة قرآنية هي سورة العلق ، نتأمل أسـباب الجمـال في تراكيب الجملة فنبحث لم قدم هذا الجزء ولم آخر ذاك؟ ولمـاذا حـذف هـنا ؟ ولم اثبت هناك ؟ ولم جاء بالتعريف ؟ ولم استخدم الإنشاء ؟ ولماذا عبر بالمجاز ؟

ثـم نتدبر التصوير المعجز ، مع ذكر ما فيها من محسنات بديعية أبرزت المعنى في سورة جميلة.

وقد جاء البحث في مقدمة وتمهيد وفصلين وخاتمة.

المقدمة:

... وذكر فيها موضوع البحث والمنهج الذي سرت عليه .

التمهيد :

... ذكـرت فيه التعريف بالسورة فبينت أنها السورة السادسة والتسعون في ترتيب السور القرآنية ، والسورة الأولى في ترتيب النزول.

ثـم ذكرت السورة من حيث مكيتها وعدد آياتها وكيفية نزولها وصلتها بما قبلها مع ذكر أغراض السورة وفضلها.

وفـي الفصل الأول : بينت منهج القرآن الكريم في استعمال ألفاظه من خلال سورة " العلق " .

وقد قسم هذا الفصل إلي مبحثين :

تناولت في المبحث الأول : المفردة القرآنية وكيفية اختيارها.

وتناولت في المبحث الثاني : التلاؤم والتناسق في السورة .

وفي الفصل الثاني : بينت خصائص النظم القرآني في السورة من خلال مباحث علوم البلاغة الثلاثة " معاني وبيان وبديع " .

الخاتمة :

... وقد اشتملت على موجز للموضوعات التي وردت أثناء البحث.

وأرجـــو أن أكون قد وفقت في الوقوف على ما في هذه السورة الكريمة مـــن مســـائل بلاغية فهذا ما تيسر لي فهمه خلال دراستي لهذه السورة وهو قليل من كثير مما احتوت عليه هذه السورة الكريمة.

وأنـــي لمثلي أن يدرك كل ما احتوت عليه فكلام الله بحر عميق لا يدرك غـــوره ، ومعاني القرآن تبدو جديدة ، واكثر خصوبة وثراء في كل مرة يـــرجع إلـــيها ، وكلما ازداد الدارس علماً ودراية في ممارسة البحوث ازداد إدراكاً لاستخراج بعض ما فيه من درر.

فايزة عبد الحميد

{ سورة العلق }

بسم الله الرحمن الرحيم

" اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم . كلا إن الإنسان ليطغى . أن رآه استغنى . إن إلى ربك الرجعى . أرأيت الذي ينهى . عبداً إذا صلى . أرأيت إن كان على الهدى . أو أمر بالتقوى . أرأيت إن كذب وتولى . ألم يعلم بأن الله يرى . كلا لئن لم ينته لنسفعاً بالناصية . ناصية كاذبة خاطئة . فليدع ناديه . سندع الزبانية . كلا لا تطعه واسجد واقترب "

صدق الله العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

التعريف بالسورة [١] :

سورة العلق هي السورة الأولى في ترتيب النزل ، والسورة السادسة والتسعون في ترتيب سور القرآن الكريم.وهي مكية بإجماع الآراء ، وإنما الخلاف في عدد آياتها فهي عند أهل المدينة ومكة عشرون آية ، وعند أهل الشام ثمانية عشرة ، وعند أهل الكوفة والبصرة تسع عشرة.

وعدد كلماتها : اثنتان وسبعون كلمة .

وعدد حروفها : مائتان حرفاً .

تسميتها :

سميت هذه السورة بـ " العلق " في المصاحف ومعظم كتب التفاسير وذلك لوقوع لفظ العلق في أوائلها .

وقد اشتهرت في عهد الصحابة والتابعين باسم سورة " اقرأ " لأن الله سبحانه وتعالى افتتحها بقوله : " اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ " وروي

---

(١) راجع هذا في : المحرر الوجيز لابن عطية تحقيق المجلس العلمي يتارودانت ٣٣٣/١٥ . ١٤١١هـ - ١٩٩١م ، مجمع البيان في تفسير القرآن لطبرسي ٩/ ٧٧٨ طبع دار المعرفة ، تفسير الفخر الرازي ١٣/٣١ طبع دار الفكر العربي الطبعة الاولى ١٤٠١هـ - ١٩٨١م ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١١٧/١٩ طبع دار أحياء التراث العربي بيروت - لبنان ١٩٦٧م - تفسير أبي السعود المسمي إرشاد العقل السليم إلي مزايا القرآن الكريم ١٧٧/٧ طبع دار أحياء التراث العربي - بيروت - لبنان ، حاشية الشهاب علي تفسير البيضاوي ٣٧٨/٨ طبع در صادر بيروت.

أيضاً عن السيدة عائشة رضي الله عنها أن أول سورة نزلت من القرآن الكريم " " اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ".

وعنونها ابن عطية باسم سورة القلم[١] ، وهذا اسم سميت به سورة " ن والقلم " ولكن الذين جعلوا اسم هذه السورة سورة القلم يسمون السورة الأخرى سورة " ن ".

هذا ولم يذكرها الإمام السيوطي في كتابة الإتقان في علوم القرآن في عداد السور ذات أكثر من اسم[٢].

مناسبتها لما قبلها:

السورة التي قبل سورة العلق في ترتيب سور المصحف الشريف هي سورة " التين " ولما ذكر الله تعالى فيها مواجهة للإنسان في خلقه القويم الذي خلقه عليه ، وأنه إذا استطاع أن يحتفظ بهذا الخلق القويم كان في أعلى المراتب ، وإذا لم يحسن الاحتفاظ بهذا الخلق فإنه سيهوى إلي أسفل سافلين وهذا بيان للسورة.

تبدأ سورة العلق بهذه المواجهة مع الإنسان في أعلى منازلة وأشرف صورة وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مدعوا من ربه إلي أكمل كمالات الإنسان وأكرم ما يتناسب مع كماله وهو القراءة التي هي المنارة والهداية لكل من يتعلمها.

---

(١) أسباب النزول لنبابوري بهامش المصحف المفسر لابن جرير الطبري جمع أبي يحي محمد بن صمادح التجيبي صـ٤٩٩ طبع دار الغد العربي.

(٢) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ١/ ٧٠ - ٧٣ طبع الحلبي الطبعة الرابعة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

ثـم يذكر الله تعالى في هذه السورة أيضاً ما يؤول إليه حال الإنسان في الآخرة وهذا بيان للمادة.

فهذه السورة فيها بيان وتوضيح لما ذكر في سورة " التين " [١].

كيفية نزولها :

هـي أول مـا نـزل من القرآن العظيم في قول معظم المفسرين ، نزل صـدرها في غار حراء حسبما ثبت في صحيح البخاري بسنده عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت : أول ما بـدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح. ثم حبب إليه الخلاء، وكـان يخلو بغار حراء فيتونث فيه . وهو التعبد في الليالي ذوات العدد - قـبل أن يـنزع إلـي أهله ، ويتزود لذلك ثم يرجع إلي خديجة يتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء.

فجـاءه الملـك فقال : اقرأ . قال : ما أنا بقارئ ، قال : فأخذني فغطني حـتى بلـغ منـي الجهد ثم ارسلني فقال : اقرأ . قلت : ما أنا بقارئ . فأخذني فغطني الثنية حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلنى فقال : اقرأ . فقلت مـا أنا بقارئ فأخذني فغطني الثالثة ثم ارسلني فقال : " اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّـذِي خَلَـقَ . خَلَـقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ " فرجع بها رسـول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده . فدخل على خديجة بنت خويلـد رضى الله عنها، فقال : زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه

---

(١) راجـع ذلـك فـي : التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ٣١١/٣٠ : البحر المحيط والنهر الماد بهامشه ٤٩١/٨ ، التفسير القرآني للقرآن ١٦٢١/١٥.

الـــروع ، فقـــال لخديجة وأخبرها لقد خشيت على نفسي فقالت خديجة : كـــلا . والله ما يخزيك الله أبداً .إنك لتصل الرحم وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقرى الضيف وتعين على غوائب الدهر.

فانطلقـــت به خديجة حتى آتت ورقة بن نوفل بن أسد عبد العزى . ابن عـــم خديجـــة وإنه امرأ تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخاً كبيراً قد عمـــى، فقالـــت لـــه خديجـــة يـــا ابـــن عم اسمع من ابن أخيك ، فقال لـــه ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله خبر ما رأى ، فقال لـــه ورقـــة : هذا الناموس الذي أنزله الله على موسى ، يا ليتني فيها جذعـــاً ، ليتنـــي أكون حياً إذ يخرجك قومك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو فخرجيَّ هم ؟ قال : نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً. ثم لم يشب ورقة أن توفى دفتر الوحي [1].

وقيل إن صدر هذه السورة وهي الآيات الخمس الأولى وهي " اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ " أول ما نزل.

---

(١) يراجع الحديث في : فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العقلاني ١/ ٢٢ طـبع دار المعـرفة بيروت – لبنان ، عمدة القارئ في شرح صحيح البخاري للعيني م ١ جـ١ / ٤٦ طبع دار الفكر ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للعراقي وابن حجـر ١٣٩/٧ الطبعة الثالثة نشر دار الكتاب العربي – بيروت لبنان ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م ، المسـتدرك علـى الصحيحين للنيسابوري ٥٢٩/٢ طبع دار المعرفة – بيروت – لبنان .

وروى الشيخان في صحيحهما عن جابر بن عبد الله أول ما نزل " يا أيها المدثر " نزلت بعد فترة الوحي الأولى كما في الإتقان ، وإن سورة " الضحى " نزلت بعد فترة الوحي الثانية.

فعن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: سألت جابر بن عبد الله : أي القرآن انزل قبل ؟ قال : يا أيها المدثر ، قلت أو اقرأ باسمك ربك ، قال:أحدثكم ما حدثنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:إني جاورت بحراء ، فلما قضيت جواري نزلت فاستبطت الوادي،فنزلت أمامي وخلفي وعن يميني وشمالي،ثم نظرت إلي السماء فإذا هو:يعني جبريل فأخذتني رجفة،فأتيت خديجة فأمرتهم فدثروني فأنزل الله:"يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ. قُمْ فَأَنذِرْ " (١).

ويجاب عن هذا الحديث أن سؤال السائل كان عن نزول سورة كاملة فبين الحديث أن سورة المدثر نزلت بكمالها قبل نزول تمام سورة "اقرأ".

وقال الزمخشري في الكشاف : ذهب ابن عباس ومجاهد إلي أن أول سورة نزلت " اقرأ " وأكثر المفسرين إلي أن أول سورة نزلت فاتحة الكتاب وقال الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه : أول ما نزل من القرآن الكريم " قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ " (٢) .

ويكاد إجماع العلماء والمفسرين ينعقد على أن صدر هذه السورة أول ما نزل من القرآن الكريم ، وأول ما استفتحت به الرسالة المحمدية .

---

(١) راجع ذلك في:أسباب النزول النيسابوري صـ٦ وما بعدها. الإتقان في علوم القرآن صـ٣٢، الكشاف٤/٢٧٠.وقد ذكر الحديث في تفسير القرطبي ٥٩/١٩.

(٢) سورة الأنعام آية " ١٥١ " .

وهـذا أصـح الأقـوال لأن الترتيـب فـي إخبار النبي صلى الله عليه وسلم يقتضي ذلك.

أغراض السورة :

نـزل صـدر هذه السورة كما بينا أول ما نزل من القرآن الكريم ، أما باقي السورة فهو متأخر النزول .

وقـد نزلـت هـذه السـورة علـى قلـب النبي صلى الله عليه وسلم لبيان الأمور التالية:

١- تلقيـن محمد صلى الله عليه وسلم الكلام القرآني وتلاوته إذ كان لا يعـرف الـتلاوة مـن قـبل ، مـع الإيماء إلي النظر في خلق الله للموجودات وخاصة خلق الإنسان فقد خلقه من قطعة دم يسيره."

" اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ....." الآيات من ١-٥ .

٢- الأخبار عن مدى طغيان وتمرد وجحود الإنسان لأوامر ربه .

" كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى....." الآيات من ٦-٨ .

٣- تهديد وافتضاح شأن أبي جهل الذي كان ينهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة مع الدعوة إلي الهدى والتقوى.

٤- أعـلام النبي صلى الله عليه وسلم بأمر من يناوؤنه وإن الله ناصره وتنبيهه إلي عدم الالتفات لما كان يتوعده به أبو جهل.

" أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى....." الآيات ٩-١٩[1] .

---

(١) المـراجع السـابقة مـع التفسـير المنـير فـي العقـيدة والشريعة والمنهج ٣١١/٣٠ بتصرف.

فضل سورة العلق :

روى أبـــي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأها فكأنها قرأ المفصل كله [١].

وروى أيضـــاً محمد بن حسان عن أبي عبد الله قال : من قرأ في يومه أو في ليلته " اقْرأْ بِاسْمِ رَبِّكَ " ثم مات في يومه أو في ليلته مات شهيداً وأحـــياه ، كمـــن ضـــرب بســـيفه في سبيل الله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) ورد الحديث برواية "من قرأ سورة العلق أعطى من الأجر كأنه قرأ المفصل كله". راجع ذلك في : الكشف الآلهى عن شديد الضعف والموضوع والواهي للعلاقة محمد الطرابلس السندورس تحقيق وتخريج د/ محمد أحمد بكار باب فضل القرآن " سورة العلق " حديث رقم ١٠٥ ٧٢٨/٢ طبع مكتبة مكتبة الطالب الجامعي مكة المكرمة.

الفصل الأول

منهج القرآن الكريم في استعمال ألفاظه من خلال سورة " العلق "

وقد اشتمل على مبحثين :

المبحث الأول : الألفاظ القرآنية وكيفية اختيارها

المبحث الثاني : التلاؤم والتناسق في السورة

المبحث الأول

اللفظة القرآنية وكيفية اختيارها

اللفظة في اللغة العربية تشع بالحياة بما لها من قوة في الإيحاء والتصوير ، والتشخيص، ولا يأخذ اللفظ هذا المجرى الطبيعي إلا إذا كان في يد فنان خبير بفن القول ، وفنون الأساليب، ومدرك لدقة وضعه ، وكذلك ما يحمله اللفظ نفسه من إيحاء وإيقاع وجرس ونغم بحيث يحرك الوجدان ، والخيال والعقل ، ويثير في النفس فيوحى بصورة حسية متحركة حتى تلتئم وتتجسم الأفكار لأن الفكرة لا يتم تجسمها : إلا على طريق الألفاظ ، يقول المستشرق هنري برجسون في كتابه "الطاقة الروحية " فالفكرة اتصال،وكل اتصال ينطوي على الاختلاط ، فلكي يصبح الفكر متميزاً لا بد له أن يتناثر في كلمات ، فنحن لا نحيط بما يدور في فكرنا إلا حين نعمد إلي ورقة ، فنصف عليها حدوداً كانت متداخلة بعضها في بعض[١].

وإذا كان هذا حال ألفاظ اللغة العربية التي هي من كلام البشر فما بالك بألفاظ القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فإن دارس لفظة القرآن الكريم يلمس روعة ما فيها من الجمال والفن وصورة الإبداع التي تشع منها، وظلال المشاهد الحسية المجسمة، وقوة الحركة فيها، ومقدار ما تملكه من سيطرة على الوجدان [٢].

---

(١) الطاقة الروحية لهنري برجسون ترجمة سامي الدروبي صـ١٩ مطبعة دار الرائد للطباعة طبعة أولى القاهرة ١٩٦٣.

(٢) راجع ذلك في : إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي صـ٢٤٢ بتصرف.

فالـناظر فـي سورة العلق يتضح له أن سبب نزول هذه السورة أعطى جمـالاً للألفاظ القرآنية والتي أعطت بدورها غزارة في المعنى وقوة في الأسـلوب المعجـز فاللفظـة مـع ما اتسمت به من السلاسة والجزالة والرشاقة مختارة من بين مجموعة من الألفاظ المترادفة لتسهم في أداء المعنى مصحوبة بقوة جرسها، ونوع صيغتها وما تملكه من إيحاء حتى صـار من المستحيل أن يقوم غيره مقامه وذلك ما أدركه العرب الخلص الفصحاء الذين نزل فيهم القرآن.

فمـن ذلـك إثيار النظم القرآني لفظ " ربك " دون " إلهك " مثلاً وذك لأن لفـظ الـرب يأتـي بـه في موضع التربية والتعليم والرعاية والولاية والخطـاب هـنا للرسول صلى الله عليه وسلم ودائماً عندما يخاطب الله رسـوله يستعمل من الألفاظ ما فيه رقة ووداعة وذلك لأن لفظ الربوبية فـيه ما يزيل فزع الرسول صلى الله عليه وسلم من الوحي فكأنه قال : ربك هو الذي رباك وعلمك فكيف يفزعك ؟ وأفادت هذه الكلمة معنيين .

في أحدهما : ربيتك فلزمك القضاء فلا تتكاسل.

والثاني : قد ربيتك حين كنت علقة فكيف أضيعك بعد أن صرت خلقاً نفيسـاً موحداً عارفاً بي [١] وفي ذلك دقة ورقة في استعمال اللفظ للحنو على الرسول واللطف به .

أمـا لفـظ " آلـه " فيأتي في مواضع التأليه والتعظيم ثمل قوله تعالى: " قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ " [٢] .

---

(١) تفسـير الفخر الرازي ١٤/٣٢ ، التفسير البياني للقرآن الكريم د / عائشة عبد الرحمن ١٦/٢ طبع دار المعارف.

(٢) سورة الأنعام آية " ١٩ ".

فالتعبير بلفظ الرب في هذا المقام من سورة " العلق : يناسب المقام وهو الامتثال إلي طاعة الله وشكره على نعمة إلي جانب أنه يحدث اهتزازاً في النفس ، ذا نغمة خاصة يسودها الخضوع للواحد القهار.

ونجد كذلك إيثار النظم القرآني للفظ : " الذي خلق " دون غيره من المترادفات كقوله : " اقرأ باسم ربك الذي لا شريك له " مثلاً ؛ وذلك لأن الله سبحانه وتعالى مهد منذ مولد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يؤهله ليبعثه رسولاً للمشركين فلو قال : الذي لا شريك له " لأبت عقولهم أن تقبل هذا لاستحكام عقيدة الشرك عندهم ، ولكن الله مهد إلي الاعتراف بذلك حيث قدم لهم ما يدل على وجوده وعلى كمال قدرته حيث وصف نفسه بما لا سبيل إلي إنكاره فهم لا ينكروا كونهم مخلوقين، ولا ينكروا أيضاً أن ذلك الخلق لابد له من خالق ، ولا يمكنهم أيضاً أن يدعوا أن ذك الخالق هو الصنم لعلهم بأن الصنم لا يخلق شيئاً وبأنهم الذين نحتوه بأيديهم.

فبهذا التدرج في المنطق يعترفون بوجود إله قادر حكيم وإنه هو المستحق للعبادة دون الأوثان لأن من لم يخلق شيئاً كيف يكون مستحقاً للعبادة؟ (١).

قال تعالى: "وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لاَ يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ" (٢).

---

(١) راجع ذلك في : حاشية زاده على تفسير البيضاوي ضبط محمد عبد القادر شاهين ٨/ ٦٣٧ بتصرف طبع دار الكتب العلمية بيروت - لبنان الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م قصار السور نظرات وتأملات أ.د /عبد القادر حسين صـ١٥٩ نقلا بتصرف طبع مؤسسة الخليج العربي الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠.

(٢) سورة الفرقان آية " ٣ "

وأيضـــاً بدأ القرآن الحديث بلفظ " الخلق " دون غيره من الألفاظ وذلك لأن الخلـــق محسوس بالعين فهو اعلق بالفم، واقرب إلي التصور وأدل علـــى الوجـــود وعظـــيم القدرة وكمال الحكمة فكانت البداية به في هذه الســـورة التي هي أول ما نزل أنسب الأمور لأن أول الواجبات م معرفة الله ،وهي بالنظر إلي أفعاله في غاية الوضوح[١].

وكذلـــك نجد اختيار القرآن الكريم للفظ " علق " من بين أحوال التكوين والعلقـــة هـــي اختلاط نطفة الذكر ونطة المرأة . ومضى مدة كافية بعد الاختلاط فإذا صارت علقة ، فقد أخذت في أطوار التكوين فجعلت العلقة هـــي مـــبدأ الخلـــق ولـــم تجعل النطفة مثلاً هي مبدأ الخلق لأن النطفة اشـــتهرت في ماء الرجل فقط فلو لم تحانطه نطفة المرأة لم تصر العلقة فلا يتخلق الجنين.

وقـــد يكـــون آثـــر لفـــظ " العلـــق " إشـــارة إلي أن خلق الإنسان من علـــق وهي أخس الأشياء ثم صيرورته إلي كمال أشده هو خلق ينطوي علـــى قـــوى كامـــنة عظـــيمة تتصـــف بالكـــرم فـــي كـــل الأمور فهو أدل على كمال القدرة [٢].

---

(١) ينظر : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي وضع حواشيه عبد الرازق غالب المهدي ٤٧٩/٨ طبع دار الكتب العلمية بيروت - لبنان الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م.

(٢) راجـــع ذلـــك في التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ٥٤٨/٣٠ بتصرف طبع الدار التونسية تونس ١٩٨٤م.

وكذلك نجد استعمال القرآن الكريم لفظ " ليطغى " [١]على غيره من الألفاظ المترادفة كلفظ "عتى" مثلاً وذلك لأن الطغيان هو مجاوزة الحد في المكروه والعصيان مع غلبة وقهر ومنه قوله تعالى:" إِنَّا لَمَّا طَغَى المَاءُ" [٢] يقال طغى الماء إذا جاوز الحد وذلك على سبيل الاستعارة .

والعتو هو المبالغة في المكروه فهو دون الطغيان ومنه قوله تعالى : " وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الكِبَرِ عِتِيًّا "[٣] .... ونجد ايثار النظم القرآني للفظ "عبداً " ولم يقل ينهاك مثلاً بضمير الخطاب لأن ايراد لفظ اعبد ابلغ في تقبيح النهي ، لأن نهي العبد عن تعظيم مولاه اقبح من نهي فرد من أفراد الإنسان عنه [٤].

وكذلك آثر النظم القرآني لفظ " الصلاة " ولا يصح لفظ آخر مكانها وذلك لأن الذي كان يشق على أبي جهل من أفعال الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام " الصلاة " فقد كان كل من يرى الرسول صلى الله عليه وسلم وهو في الصلاة يرق قلبه للإسلام والإيمان فكان ذلك يزيد من غيظ أبي جهل فلذلك اقتصر على ذكر الصلاة.

وانظر إلي قوله تعالى : " لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَةِ " ولم يقل مثلاً لنسجنه بها على وجهه إلي النار ، وذلك لأنه من المعلوم أن من صار في القبضة

---

(١) الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري تحقيق لجنة إحياء التراث العربي صـ ٢٢٤ طبع منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت - لبنان الطبعة الخامسة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

(٢) سورة الحاقة آية " ١١ ".

(٣) سورة مريم آية " ٨ " .

(٤) حاشية زاده ٨/٦٤٣.

وأخـذ بشـدة على هذه الهيئة المزرية فهو هالك لا محالة ولا يترك له فرصـة تمكـنه مـن الافلات واستعمال هذا اللفظ أيضاً فيه ما فيه من الإذلال والمهانـة لنهم كانوا لا يقبضون على شعر رأس أحدهم إلا لجره وسحه بشدة (١).

هـذا بالإضافة إلي أن معاني هذا اللفظ تحتمل وجوهاً عدّة كلها تدل على شدة ما يقع لأبي جهل من عذاب وإذلال (٢).

ونجـد أيضـاً ايـثار النظم القرآني للفظ " الناصية " بدلاً من الرأس أو الوجه . ولعل السبب في هذا أن أبا جهل كان شديد الاهتمام بترحيل تلك الناصـية وتطيـبها ،وكـان يهتم أيضاً بتسويدها فأخبره الله تعالى أنه سيسودها مع الوجه.

هذا بالإضافة إلي أنه لا يقبض على الإنسان بهذه الصورة إلا لإذلاله له وقهـره ، وهذا دليل على السيطرة والتمكن ؛ لأن من يؤخذ من ناصيته لا يترك له فرصة للهرب (٣).

فانظر بعد هذا العرض إلي روعة هذا الأسلوب القرآني الكريم ومدى دقته في اختـيار ألفاظـه فكـل لفظ فيه وضع في مكانه الذي هو أحق به فما من لفظ يمكن أن يقوم غيره مقامه وهذا ما أدركه العرب الخلص الفصحاء الذين ينزل فيهم القرآن الكريم.

---

(١) تناسب الآيات والسور ٤٨٧/٨.

(٢) راجع في ذلك تفسير الفخر الرازي ٢٣/٣٢.

(٣) راجع ذلك في : المصدر السابق ٢٤/٣٢ - روح المعاني م ٦٠٠/٨.

ومـــا أدركـــه أيضـــاً غير العرب ممن قرءوا القرآن الكريم بفهم وتدبر لمعانية. يقول الدكتور / أحمد أحمد بدوي مشيداً بأسلوب القرآن الكريم فـــي اختيار ألفاظه: " يتأنق أسلوب القرآن في اختيار ألفاظه، ولما بين الألفـــاظ مـــن فروق دقيقة في دلالتها ،يستخدم كلا حيث يؤدي معناه في دقة فائقة ، تكاد تؤمن بأن هذا المكان كأنما خلقت له تلك الكلمة بعينها ،وأن كلمة أخرى لا تستطيع توفيه المعنى الذي وفت به أختها،فكل لفظة وضعت لتؤدي نصيبها من المعنى أقوى أداء.

فكـــل كلمة تحمل إليك معنى جديداً . ولما بين الكلمات من فروق ، ولما يبعـــثه بعضـــها في النفس من إيحاءات خاصة ، دعا القرآن ألا تستخدم لفـــظ مكـــان آخـــر فقـــال : " قَالَـــتِ الأَعْـــرَابُ آمَـــنَّا قُـــل لَّمْ تُؤْمِنُوا ولَكِـــن قُولُـــوا أَسْـــلَمْنَا ولَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ " [١] فهو لا يرى التهاون في استعمال اللفظ ولكنه يرى التدقيق فيه ليدل على الحقيقة من غير لبس ولا غوية [٢].

---

(١) سورة الحجرات آية " ١٤ " .

(٢) من بلاغة القرآن لأحمد أحمد بدوي صـــ٥٧ وما بعدها طبع دار نهضة مصر.

المبحث الثاني

التلاؤم والتناسق في السورة

إن القارئ لسورة العلق يشعر بالامتزاج بين هذا الجو من التفضل بالنعم التي لا تحصى والتي أسبغها الله على عباده الطائعين ، وبين التهديد والتقريع لهذا الإنسان الطاغي كل ذلك في صوت متناسق جميل فهو الصيغة السلمية لدقة التلاؤم في تأليف حروف هذه السورة وحسن تلاؤمها لمخارج نطقها.

فنجد أنها تضم خمس عشرة فاصلة قصيرة،ربما يظهر من أول الأمر أنها تشبه سجع الكهان ، ولكن سجع الكهان المعروف عنه أنه جمل متناثرة لا رابط بينهما ، إلي جانب اشتمال سجعهم على التمويه والتضليل.

ولكن في هذه السورة نسق متساوي يربط فواصله تناسق داخلي دقيق،فضلاً عما يقره من حق وبيان لقدرة المولى واستحقاقه للعبادة.

هذه هي السورة الأولى في ترتيب نزول سور القرآن الكريم فناسب أن تستنتج بالقراءة للقرآن، بهذا المقطع الواحد الذي نزل منذ اللحظة الأولى من اتصال الله سبحانه وتعالى برسوله صلى الله عليه وسلم وضعت قاعدة التصور الإيماني.

ثم نقرأ قوله تعالى : " بِاسْمِ رَبِّكَ " فنشعر بأن كل أمر ، وكل حركة، وكل عمل يجب أن يبدأ باسم الله ، فباسم الله نبدأ وباسم الله نسير، وإليه تصير كل الأمور فتشعر النفس بالهدوء والراحة وبأهمية ما يقع للإنسان من أعمال عظيمة عندما يبدأ أعماله باسم الله .

وإنها لبدء للدعوة فليختر من صفات " الرب "صفته التي بها معنى البدء بالحياة " الذي خلق " وليبدأ الخلق والنشأة من تلك النقطة الدموية الجامدة العالقة بالرحم ثم يرفع هذا العلق الجامد إلي درجة الإنسان الكامل الذي يعلم فيتعلم. "اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ. الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ".

وليتنظر هنا الإنسان غير المدرك بكنوز القرآن الكريم فيقول أنه لا تناسق ولا تلاؤوم بين الآيات . ولكن المتدبر لمعاني القرآن الكريم يجد أن أول أحوال الإنسان كونه علقة . وهي أخس الأشياء وآخر أمره هو صيرورته عالماً بحقائق الأشياء ، وهو أشرف مراتب المخلوقات فكأنه تعالى يقول انتقلت من أخس المراتب إلي أعلاها فلابد لك من مدبر لهذا.

فنجد التلاؤم والتناسب والتناسق بين الآيات على أكمل وجه.

ولقد كان من المتوقع أن يعرف الإنسان تلك الحقيقة فيعترف بهذا الفضل العظيم ، ولكن الذي حدث غير ذلك فقد برزت صورة الإنسان الطاغي الذي انحرف عن الطريق القويم ونسى منشأة فعقب الله بأسلوب التهديد والتقريع على بروز هذه الصورة وهي قوله تعالى : " كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى . أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى . إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى . "

ثم يمضى التناسق والتلاؤم بين تراكيب الألفاظ ومعانيها فلم يكن هناك ما يمنع من إكمال الصورة الأولى فمضى سبحانه وتعالى في حديث الطغيان الإنساني لنفسه إلي سواه فعرض صورة مستنكرة يعجب منها ويفظع وقوعها إلا في هذا الأسلوب القرآني الفريد فقال : " أَرَأَيْتَ الَّذِي

يَـنْهَى. عَـبْداً إِذَا صَـلَّى. أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَى. أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى. أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى. أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى".

ثـم يجـيء الـتهديد الحاسم لهذا الطغيان الإنساني بذلك اللفظ الشديد المصـور بجرسه لمعناه " لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَةِ . نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ " فهو صـورة حسـية رائعة للأخذ الشديد السريع ومن أعلى مكان يرفعه هذا الطاغـية المتكـبر مـن مقدمة رأس هذا المتشامخ الطاغي ، حقاً إنها ناصـية تستحق هذا السفع - ثم نرى التناسق والتلاؤم حتى إنه ليخيل للسـامع صورة معركة فقد يخطر ببال هذا المتشامخ أن يدعو من يعتز بهـم مـن أهلـه " فَلْـيَدْعُ نَادِيَهُ . " أما نحن فسندعو له الملائكة التي سـتدفعهم دفـاً شديداً إلي جهنم " سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ " فهي معركة معروفة المصـير ، ولـيمض صاحب الرسالة في رسالته في إصرار وثبات على إيمانـه وطاعته فهذا تناسق وتلاؤم واضح لمقاطع السورة الأولى من سور القرآن الكريم [1].

---

(١) راجـع هذا المبحث في : التصوير الفني في القرآن الكريم لسيد قطب صـ١٩ وما بعدها طبع دار الشروق الطبعة السابعة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م بتصرف في ظلال القـرآن الكريم لسيد قطب م ٦ جـ٣٠/٣٩٣٥ وما بعدها الطبعة الثانية عشرة طبع دار الشـروق ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م . من بلاغة القرآن الكريم لأحمد أحمد بدوي صـ٥٤ وما بعدها طبع دار نهضة مصر ، الإعجاز الفني في القرآن الكريم لعمر السلامي صـ٢٢٦ وما بعدها نشر وتوزيع مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله تونس ١٩٨٠م.

الفصل الثاني

خصائص النظام القرآني في السورة

من خلال مباحث علوم البلاغة الثلاثة : { معاني وبيان وبديع }

بسم الله الرحمن الرحيم

" اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ " .

من أعجب العجب أن تكون كلمة " اقرأ " هي أول ما استهل به الوحي إلي النبي صلوات الله وسلامة عليه وهو الأمي الذي لا يقرأ ، وأمره بالقراءة ، إنما هو قراءة من كتاب هذا الكتاب السماوي المعجز الذي أنزله الله على النبي صلى الله عليه وسلم لختام رسالات الدين ، فقد كانت البيئة في ذلك الوقت وثنية ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان قبل البعثة في حيرة من أمر قومه ينكر عبادتهم لأصنام صنعوها بأيديهم وطال به التأمل وهو يختلي في غار حراء التماساً لما يهديه من حيرته في تلك الظلمة ، كانت كلمة الله التي حملها جبريل عليه السلام " اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ" توجيهاً وهداية إلي الحق الذي طال التماسه إياه [1].

ونجد هنا قمة الإعجاز البلاغي في براعة استهلاك [2]هذه السورة بكلمة " اقْرَأْ " فقد جاءت مطابقة لمقتضى حال النبي صلى الله عليه وسلم ليس بالتصريح بل بألطف إشارة لا يدركها إلا صاحب الذوق السليم .

---

(١) التفسير البياني للقرآن الكريم د / عائشة عبد الرحمن ١٦/٢ بتصرف.

(٢) البراعة أي التفوق والاستهلال أي الافتتاح والابتداء وبراعة الاستهلال هي أن يكون في صدر الكلام دليل على حاجة المتكلم متضمناً لما سبق الكلام لأجله من غير تصريح.

ولذلك نجد فواتح السور القرآنية تحمل من البراعة في الفصاحة والبلاغة مالا نقدر على حصر مغزاها.

كما أن خير أبيات الشعر البيت الذي إذا سمعت صدره عرفت قافيته. ===

" فاقْـرأْ هنا ايذان بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيكون قارئاً بعد أن كان أمياً لا يقرأ ، قال تعالى " وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ " (١).

ولهذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام حين قال له اقرأ "ما أنا بقارئ" (٢).

والأمـر بالقـراءة هنا مستعمل في حقيقته من الطلب فالمطلوب بقوله " اقـرأ " أن يفعـل القـراءة أي أن يـردد ويقول ما سيملي عليه فالأمر بالقـراءة مـن قبيل الأمر التكويني فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يكن قارئاً قبل هذا الأمر حتى نطلب منه القراءة.

أمـا إذا حملنا الأمر على التكليف فيكون المعنى أنك مأمور إذا قرأت أن تقرأ باسم الله وعلى ذلك تصبح القراءة عملاً تنفذه لله تعالى لا لغيره(٣).

=== راجـع ذلك تحت اسم براعة الاستهلال في خزانة ابن حجة الحموي صـ٢، نهايـة الأرب للـنويري ١٣٣/٧ ط دار الكتـب المصرية ١٩٣٧م ، حسن التوسل لشهاب الدين الحلبي ٦٥ ط مصر ١٢٩٨هـ.

تحت اسم الاستهلال في البيان والتبين للجاحظ تحقيق عبد السلام ، هارون ١١٢/١ طبع مصر ١٩٤٩ ، بديع ابن المعتز : ١٣٣ط مصر ١٩٤٥م.

وتحـت اسم المبادئ والمطالع في بديع ابن منقذ تحقيق د / أحمد بدوي ، د / حامد عبد المجيد صـ٢٨٥ ط الحلبي ١٩٦٠م.

وتحـت اسم المبادئ والافتتاحات في الطراز للعلوي ٢٢٦/٢ طبع دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.

(١) سورة العنكبوت آية " ٤٨ " .

(٢) راجع الحديث بأكمله في المبحث الأول من هذا البحث.

(٣) راجـع ذلك في تفسير التحرير والتنوير ٤٣٥/٣٠ ، تفسير الإمام محمد عبده صـ٩٣ ، ٩٤ طبع مطابع الشعب.

والفعل " اقرأ " من الأفعال المتعدية ولكنه لم يذكر له مفعول[١] فالمفعول مقدر بقرينة المقام وإنما ذكر له متعلق فارتبطت القراءة به باسم الله ، وعلى ذلك تكون القراءة عامة وبلا حدود، وفي هذا ملحظ إعجازى يستطيع المقدر أن يدركه الآن فعندما قرأ أسلافنا الأولون قرءوا باسم الله فجاءت علومهم بالخير العميم لكل البشرية ، وعندما انحرفت القراءة إلي غير هذا المنهج كان العلم تدميراً أكثر منه بناءاً لنفع البشرية.

فالقراءة في عرف الشرع لا تستعمل إلا في قراءة القرآن . قال تعالى " فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ " [٢] وقال : " وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ " [٣].

فالكلام هنا من باب الإيجاز بحذف المفعول ، ويوضح الإمام عبد القاهر الجرجاني ت ٤٧٤هـ سر الإيجاز بالحذف [٤] فيقول : "هو باب دقيق

---

(١) نظم الدور في تناسب الآيات والسور للإمام أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي وصحح حواشيه عبد الرازق غالب المهدي ٤٧٩/٨ طبع دار الكتب العلمية بيروت - لبنان الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

(٢) سورة القيامة آية " ١٨ " .

(٣) سورة الإسراء آية " ١٠٦ ".

(٤) الإيجاز بالحذف هو التعبير عن المعاني الكثيرة في عبارة أقل منها ، بحذف شيء من التركيب مع عدم الإخلال بالمعنى ، وأن يكون في الكلام ما يدل على المحذوف راجع ذلك في: المعجم المفصل في علوم البديع والبيان والمعني إعداد د / إنعام فوال عكاوي مراجعة أحمد شمس الدين صـ٢٤٥ طبع دار الكتب العلمية بيروت - لبنان الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢م ، الصناعتين الكتابة والشعر لأبي هلال العسكري تحقيق د/ مفيد قميحة صـ٢٠٠ طبع دار الكتب العلمية بيروت - لبنان الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

المسلك ، لطيف المأخذ ، عجيب الأمر ، شبيه بالسحر ، فإنك ترى به ترك الذكر ، افصح من الذكر ، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة ، وتجدك أنطق ما تكون إذا م تنطق ، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبين" [١].

وإما أن ينزل هذا الفعل منزلة الفعل اللازم فيكون المقصود أوجد القراءة. باسم ربك إما أن يكون افتتاح كلام بعد جملة " اقرأ " فتكون أشعاراً بأن كل قراءة يجب أن تبدأ باسم الله فتكون الباء للاستعانة وعلى هذا يجوز أن تتعلق بمحذوف تقديره : ابتدئ أو افتتح باسم ربك.

ويجوز أن تتعلق بـ "اقرأ" الثانية فيكون تقديم " اسم ربك " على معموله للاهتمام بشأن الله وعلى هذا التقدير فالفعل " اقرأ " فعلاً لازماً لا يحاج إلي مفعول حتى يقدر له ومعناه أوجد القراءة على نحو فلان يعطي ويمنع إذا لم يحمل على العموم [٢].

ويرى السهيلي [٣] في كتابه نتائج الفكر : " أن هذا طريق لا ينبغي أن يقدم فيه سوى ذكر اله فلو ذكر الفعل قبله – لاسيما وهو لا يستغني عن

---

(١) دلائل الإعجاز للأمام عبد القاهر الجرجاني تعليق/ محمود محمد شاكر صـ١٤: نشر مكتبة الخانجي القاهرة.

(٢) تفسير التحير والتنوير ٤٣٦/٣٠ بتصرف.

(٣)هو عبد الرحمن عبيد الله بن أحمد بن حبين بن سعدون الإمام أبو زيد وأبو القاسم السهيلي الخثعمى الأندلسي ، كان عالماً بالعربية واللغة والقراءات عالماً بالتفسير وصناعة الحديث ، حافظاً للرجال والأنساب ، توفي سنة ٥٨١هـ .

من تصانيفه: الروض الأنف في شرح السيرة ، والتعريف والأعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام ، نتائج الفكر في النحو وغير ذلك مراجع حياته: وفيات الأعيان لابن خلكان تحقيق إحسان انص ١٤٣/٣ ترجمة رقم ٣٧١ طبع دار ==

فاعلـه- كـان مناقضـاً للمقصود، ويعني أن مقصود المبسمل ان يظهر أنه مستمد مـن الله تعـال مستعين به وليس مقصوده أن يحيد عن فعل نفسه فينبغي أن يقدم مقصوده على غيره (١).

وقـد تكـون الـباء للمصاحبة وباسم ربك في موضع الحال من ضمير " اقـرأ " الثانية وقد قدم على عامله للاختصاص أي اقرأ يا محمد عليك صـلوات الله وسـلامة مـا سـيوحى إليك مصاحباً قراءتك اسم ربك، فالمصـاحبة مصاحبة فهم وتدبر لوحدانية الله تعالى. وعدل الله سبحانه وتعـالى عن التعريف بالعلمية إلي الصفة فقال "ربك" لما في معنى لفظ الرب من العناية والرعاية.

وهذه الإضافة إلي ضمير المخاطب صلوات الله وسلامة عليه فيها دلالة علـى الاختصاص والتأنيس والتقريب والملاطفة فهي إضافة مؤذنة بأنه المنفرد بربوبيته عنده وإن الذي يأتيك إنما جاءك من ربك الذي أوجدك وربـاك ورعاك ووجدك يتيماً فآواك ووجدك ضالاً فهداك ، ووجدك عائلاً فأغـناك ، وسكب الطمأنينة في قلبك هداية لك لما كنت تبحث عنه فهو الذي باسمه تقرأ (٢).

== صـادر بـيروت ، بغـية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة تحقيق محمد أبو الفضـل إبراهيم ٨١/٢ نشر المكتبة العصرية صيدا ، أنباه الرواه على أنباء النحاه القفطي ١٦٢/٢.

ونص عبارة السهيلي : " أنه موطن ينبغي أن لا يقدم فيه سوى ذكر الله فلو ذكرت الفعل لا سيما وهو لا يستغني عن فاعلة كان ذلك مناقضاً للمقصود.

(١) نتائج الفكر في النحو لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي تحقيق د / محمد ابراهيم البنا صـ٥٥ بتصرف منشورات قار يونس ١٩٧٨م.

(٢) تفسير الفخر الرازي ١٤/٣٢ ، شرح أحاديث من صحيح البخاري صـ٤٩-٥٠.

وجيء في وصف الرب[١] بطريق التعريف باسم الموصول[٢] "الذي" فبذلك يكون الله مخالفاً للأصنام في الاسم والصفة فلم يرد عن العرب وصفهم لآلهتهم باسم الموصول، وفي ذلك دليل على انفراد الله بالإلهية، فالتعريف بالموصول يومئ إلى علة الخبر وإذا كانت علة الإقبال على ذكر اسم الرب هي أنه خالق أي منشئ للعالم فالعرب كانت تسمى الأصنام مثل اسم اللات واسم العزى أرباباً فأتى الله سبحانه وتعالى بالصفة التي لا يمكن شركة الأصنام فيها وكون الله هو الخالق يعترفون به قال تعالى:"وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ"[٣].

ويرى أستاذي الدكتور / محمد أبو موسى أن صلة الموصول في هذه السورة هي كلمة كافية شافية ، لأن الخلق لا يكون إلا من الحي القادر الحقيق بالعبادة، فصفة الخلق لا يشركه فيها أحد ، وقد جعله القرآن سبيل استحقاق العبادة " وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لاَ يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ "[٤] فالذي يخلق هو وحده المستحق للعبادة.

وهذا المعنى هنا يفيد أنه عليه السلام قد اهتدى في خلائه وخلوته وتحنثه وتحنفه بالنور الذي قذف الله في قلبه ، إلى الحي الخالق فقيل في أول كلمة " اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي " هو الحي الخالق الذي عرفته ،

---

(١) راجع ذلك في تفسير البحر المحيط ٨/٤٤٢، تفسير التحرير والتنوير ٣٠/٤٣٧.

(٢) ويعرف المندالية بالموصول عندما لا يصح إحضاره في ذهن السامع إلا بواسطة ذكر جملة معلومة الانتساب إلى مشار إليه واتصل بإحضاره بهذا الوجه باع.

يراجع ذلك : شرح التخليص للبابرتي تحقيق د / محمد مصطفى رمضان صـ ١٠٢ نشر المنشأة العامة للنشر والتوزيع طرابلس الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ - ١٩٨٣م.

(٣) سورة لقمان آية " ٢٥ " .

(٤) سورة الفرقان آية " ٣ " .

وقلـيل خلقه سبحانه ككثيرة ، في الدلالة على أنه حقيق بالعبادة ، وأنه موصـوف بكـل كمال ومنزه عن كل نقص، لأن الأمر الآلهي في كل ما خلقـه بـيديه أمـر واحـد ، خلق نفس واحدة كخلق الأنفس جميعاً بل وإماتـتها جميعاً وبعثها جميعاً . وحسابها جميعاً ، وما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة، خلق شجيرة كخلق السموات والأرض وما بينهما .

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُـوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لاَّ يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَـعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ" (١) فهذا كلام الله ولهذا اقتصرت الصلة على كلمة خلق في الخطاب الأول أو قل في أول حديث للقرآن عن الله (٢).

وعـدم ذكر مفعول لـ " خلق " يجوز أن لتنزيل الفعل منزلة الفعل منزلة الـلازم ويكـون المعنى أنه الذي حصل منه الخلق واستأثر به فلا خالق سـواه ، كمـا نقول : هو يعطي ويمنع أي يكون منه العطاء والمنع من غير نظر إلي شيء يتعدى الفعل له.

وإمـا أن يقدر له مفعول أي خلق كل شيء فيتناول كل مخلوق، ويكون حذف المفعول لإفادة الإطلاق والعموم (٣).

---

(١) سورة الحج آية " ٧٣ ".

(٢) راجع ذلك في : شرح أحاديث من صحيح البخاري للأستاذ الدكتور محمد محمد أبو موسى صـ٥١ بتصرف.

(٣) راجع ذلك في : تفسير الفخر الرازي ١٥/٣١ ، روح المعاني في تفسير القرآن العظـيم ٥٨٧/١٨ ، حاشـية الشـهاب على تفسير البيضاوي ٨ / ٣٧٨ طبع دار صادر بيروت.

وتــرى الدكــتورة / عائشة عبد الرحمن أنه لا وجه لما تعلق به بعض المفســرين من تأول مفعول لــ " خلق " في الآية الأولى بل ندعها على إطلاقهــا الــذي يفيد معنى العموم ، ثم تتولى الآية بعدها تخصيص هذا العام باللفت إلي خلق الإنسان، من حيث كان الوحي القرآني لهداية هذا الإنسان دون غيره من الكائنات (١).

قوله تعالى : " الذي خلق " فيه من التمهيد لاعتراف عباد الأوثان به ما ليس في قوله : " الذي لا شريك له " لان اله سبحانه وتعالى لو بدأهم بهذه المواجهة لأبوا أن يقبلوا ذلك منه ففي قوله تعالى : " الذي خلق " مقدمــة تدعوا المشركين إلي الاعتراف به ، فكأنه قال : واذكر لهم انهم هــم الذين خلقوا من العقلة فلا يمكنهم إنكاره ، ثم قل: ولا بد للفعل من فاعل فلا يمكنهم أن يضفوا الخلق إلي الوثن لعلمهم بأنهم نحتوه.

فبهذا التدرج يقرون بأني المستحق بالثناء (٢).

"خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ" :

" خلــق " لم يذكر له مفعول إما لأن هذا الفعل منزل منزلة الفعل اللازم ويكون المعنى الذي حصل منه الخلق .

وإمــا أن يكــون من الأفعال المتعدية وقد حذف مفعوله من باب الإيجاز بالحذف وغرضه البلاغي هو الإبهام ثم التفسير وسواء أكان الفعل لازماً او قدر له مفعول فعلي كلا الوجهين أفاد الفعل العموم.

---

(١) التفسير البياني للقرآن الكريم ٢/١٦.

(٢) تفسير الفخر الرازي ٣١/١٥.

" وال " هـنا في " الإنسان " للجنس أي جنس بني آدم : وليس الراد به آدم ، لأن آدم خلـق من طين ولم يكن ذلك متقرراً عند الكفار المخاطبين بهذه الآية ، فلذلك ترك أصل الخلقة وذكر الفرع الذي هم به مقرون .

من الأساليب البلاغية الجميلة التي دلت على إعجاز هذا الكاب السماوي وقـد وردت في هذه السورة الكريمة الإطناب في قوله : " خَلَقَ الإِنسَانَ مِـنْ عَلَقٍ " فقد خص الإنسان بالذكر بعد أن كان داخلاً في عموم كلمة " خلـق " من باب ذكر الخاص بعد العام تنبيهاً للتعاير في الوصف منزلة الـتغاير فـي الـذات ، وذلـك كمـا خـص الله سبحانه وتعالى جبريل علـيه السـلام بالذكر بعد ذكر الملائكة في قوله تعالى : " مَن كَانَ عَدُواً لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ " [١] للدلالة علـى تخصيصه حتى صار كأنه حقيقة منفردة خارجة عن عداد ما سبق للعناية والاهتمام والتكريم [٢] فكلمة " خلق " الأولى كأنها بمثابة المقدمة لخلـق الإنسـان أي أن خلـق الوجـود كله إنما هو لهذا الإنسان الذي سـخر الله له مـا في السموات والأرض قوله تعالى: "من علق" والعلق اسـم جمع [٣] وهي قطعة قدر الأنملة من الدم الغيظ الجامد الباقي رطباً لم يخف.

---

(١) سورة البقرة آية " ٩٨ ".

(٢) حاشـية محـي الدين بن شيخ زاده لمحمد بن مصلح الدين مصطفى القوجوي تصـحيح محمد عبد القادر شاهين ٦٣٧/٨ طبع دار الكتب العلمية . الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

(٣) انظر : لسان العرب لابن منظور مادة " ع ل ق " طبع دار المعارف.

ولعل السر في تخصيص هذا الطور من بين سائر أطوار الفطرة الإنسانية تذكيراً للرسول صلى الله عليه وسلم لما وقع له من شرح الصدر قبل النبوة وإخراج العلق منه ليتهيأ تهيئاً تاماً لما يكون له بعد ذلك ، فكأنه قيل الذي خلق الإنسان من جنس ما أخرجه من صدرك الشريف ليهيئك بذلك لمثل ما يلقى إليك الآن والذي عليه بعض المفسرين [١] في تخصيص هذا الطور بالذكر هو رعاية الفواصل [٢] وهذا نوع من الأعجاز البلاغي في هذا الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فقد كانت الفاصلة هنا طريق أساسي في فهم المعنى الذي أراده الله سبحانه وتعالى في أحسن صورة قد دل عليها. كما أنها ساعدت على حفظ هذه الآيات في مستهل الدعوة بسبب تلاوتها بأنغام آسرة ذات إيقاع جميل آخاذ ، وهذا الجمال التوقيعي في آيات القرآن الكريم لا يخفى على أحد حتى الذين لا يعرفون لغة القرآن الكريم[٣] وذكر العلقة من الإعجاز العلمي للقرآن الكريم ، لأن الثابت في

---

(١) راجع ذلك في تفسير أبو السعود ١٧٧/٧.

(٢) الفاصلة : هي حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن الأفهام في المعاني. راجع ذلك في : الفاصلة القرآنية أ.د/ عبد الفتاح لاشين صـ١٠ وما بعدا طبع دار المريخ الرياض ١٤٠٢هـ - ١٩٨٣م.

(٣) انظر: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني تحقيق محمد خلف الله ، د / محمد زغلول سلام صـ٩٧ وما بعدها طبع دار المعارف الطبعة الثالثة ، النبأ العظيم د / محمد عبد الله دراز صـ١٠ طبع دار القلم الطبعة الثالثة ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
خصائص التعبير القرآني - وسماته البلاغية د / عبد العظيم صـ٢٢٥ نشر مكتبة وهبة الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .

العلـم الآن أن الإنسان يتخلق من بويضة دقيقة جداً لا ترى : لا بالمرآة المكـبرة أضـعافاً تكـون في مبدأ ظهورها كروية الشكل سابحة في دم حـيض المـرأة فـلا تقـبل التخلق حتى تخالطها نطفة الرجل فتمتزج معها فتأخذ في التخلق إذا لم يعقها عائق كما قال تعالى " مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَـةٍ " [١] فـإذا أخذت في التخلق والنمو امتد تكورها قليلاً فشابهت العلقـة التـي في الماء مشابهة تامة في دقة الجسم وتكونها بلون الدم الذي هي سابحة فيه وفي كونها سابحة في سائل كما تسح العلقة [٢].

ذكر الله سبحانه العلق بلفظ الجمع لأن الإنسان في معنى الجمع [٣].

وسـورة العلق مثل غيرها من سور القرآن الكريم قد حوت بين طياتها جمـلاً موصـولة وأخـرى مفصـولة [٤] لغرض بلاغي لتعطي وضوحاً وجمالاً وتقوية.

---

(١) سورة الحج آية " ٥ " .

(٢) نقلاً عن تفسير التحرير والتنوير ٣٠/٤٣٨.

(٣) تفسير الفخر الرازي ٣٢/١٦.

(٤) هـو عطف بعض الجمل على بعض أو ترك العطف بالواو خاصة ، يوضح ذلك الإمـام عبد القاهرة الجرجاني فيقول :" أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض ، أو ترك العطف فيها والمجئ بها منثورة ، تستأنف واحد منها بعد الأخرى ، مـن إسـرار الـبلاغة تلك التي لا يفهمها إلا الأعراب الخلص والأقوام طبعوا على الـبلاغة ، ... أمـا الذين إذا رأوا جملة قد ترك فيها العطف قالوا : إن الكلام وقد اسـتؤنف وقطـع عمـا قبلة لا تطلب أنفسهم منه زيادة على ذلك ، قد غفلوا غفلة شـديدة.

راجع ذلك في دلائل الإعجاز صـ٢٢٢.

فـنجد جملـة " خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ " يجوز أن تكون بدلاً من جملة " الـذي خلق " بدل مفصل من مجمل وذلك إذا لم يقدر له مفعول ، أو بدل بعض من كل أن قدر له مفعول عام.

وسـلك طـريق الإبدال لما فيه من الإجمال ابتداء لإقامة الاستدلال على احتياج المخلوقات كلها إليه سبحانه وتعالى ، وذلك لأن المقام هنا مقام الشروع في تأسيس ملة الإسلام . ففي الإجمال إفادة تعميم هذا الدليل ثم يأتي التفصيل بعد ذلك لزيادة تقرير هذا الدليل.

ويجـوز أن تكـون هذه الآية بياناً من " الذي خلق " إذا قدر لهذا الفعل مفعول دل عليه بيانه فيكون تقدير الكلام : " اقْرأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَـقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ " [١] وعلى هذا المعنى تصبح من كمال الاتصال وذلك لأن الجملتين اتحدتا معنى لا لفظاً فوجب الفصل بينهما.

وقـد يكـون الفصل لشبه كمال الاتصال ويكون المعنى على أن الجملة الأولـى تضـمنت سؤالا أي شيء خلقه الله فجاءت الجمة الثانية " خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ " جواباً عنه ولكن هذا الرأي ضعيف.

ويـتجلى فـي هـذه الآيـة الكريمة من روائع الإعجاز البلاغي الإيجاز بالقصـر [٢] وذلـك لأن هـذه الآيـة الكريمة على قصرها قد دلت على

---

(١) التحرير والتنوير ٣٠/٤٣٩.

(٢) هـو بناء الكلام ابتداء على الإيجاز بحيث تدل الألفاظ القليلة على معان كثيرة، وذلـك كقوله تعالى : " وَلَكُمْ فِي القِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ " سورة البقرة آية " ١٧٧ ".

راجع ذلك في : من بلاغة النظم القرآني د / بسيوني عبد الفتاح فيود صـ ٢٨٠ طبع مطبعة الحسين الإسلامية . الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

استقصاء قصة الإنسان من المبدأ إلي المنتهي والتي قد فصلت بعد ذلك بآيات أخرى نزلت في خلقه [١].

وفي هذه الآية تعريض [٢] لهم بجهلهم لأنهم ضلوا عن توحيد الله تعالى مع أن دليل الوحدانية قائم.

فقد تضمنت الآية إعلام السامعين بصورة لا تقتضي مواجهتهم بالخطاب الصريح ، وهذا الأسلوب أعلى درجات البيان.

ومن الأساليب البلاغية الجميلة التي وردت في هذه السورة الكريمة السجع المرصع [٣] بين قوه تعالى : " اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ "

---

(١) سورة الكهف آية " ٣٧ " ، سورة الحج آية " ٥ " ، سورة يس آية " ٧٧ - ٧٩ " ، سورة الطارق آية " ٥ - ٨ " ، سورة الإنسان آية " ٢ - ٣ " ، سورة عبس آية " ١٧ - ٢٢ " .

(٢) والتعريض خلاف التصريح وهو الدلالة على المعنى من طريق المفهوم ، وسمى تعريضاً لأن المعنى فهم من عرض اللفظ راجع ذلك في : المعجم المفصل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني صـ٣٨٣ ، البرهان في علوم القرآن للزركش تحقيق محمد أو الفضل إبراهيم ٣١١/٢ نشر مكتبة دار التراث - القاهرة.

(٣) الترصيع : من رصع الشيء : عقده عقداً مثلثاً متداخلاً .

والترصيع : التركيب ، وهو مأخوذ من رصيعة اللجام ، وهي العقدة التي تكون على صدغ الفرس من الجانبين ولا يجوز أن تكون أحدى العقدتين معقودة وأخرى محلولة.

والسجع المرصع : هو ما كانت فيه إحدى القرنيتين كلها أو جملها مثل ما يقابلها من الفقرة الأخرى في الوزن والتقفية .

ويرى الإمام بن الأيثر المتوفي سنة ٦٣٧ هـ أن هذا النوع من السجع لا يوجد في كتاب الله تعالى ، لما هو عليه من زيادة التكلف.

والحق أنه أياً ما كانت التسمية فإن السجع الخالي من التكلف محمود والكلام المشتمل عليه أفضل من غيره ، لأن النفوس إليه أميل ، والآذان لسماعه أنشط. راجع ذلك في : نقد الشعر لقدامه بن جعفر تحقيق د / محمد عبد المنعم خفاجي صـ٧٨ نشر مكتبة الكليات الأزهرية الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير تحقيق د/ أحمد الحوفي، د/ بدوي طبانة القسم الأول صـ٣٦١ طبع دار نهضة مصر.

وقوله: " خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ " فنلاحظ أن كلمات الفقرة الثانية متفق معظمهـا مـع كلمات الفقرة الأولى في الوزن والتقفية ، فأدى ذلك إلي تمكين المعنى في الذهن مع الإحساس بصفاء ونقاء اللفظ.

ومن المحسنات البديعية اللفظية أيضاً والتي وردت في هذه الآية الكرمة الجناس بين قوله (خلق ، وعلق) وهو من الجناس الناقص اللاحق [١].

لأن الاخـتلاف بيـن اللفظين جاء من حرفي الخاء والعين وهما حرفان غير متقاربين في المخرج .

وقـد جاء الخباس هنا ليقوم بنصيبه في أداء المعنى بالإضافة إلي أن الجمال اللفظـي واضح حيث تقاربت الكلمتين إلي جانب أن المعنى يطلبهما ولا يغنى غـيرهما عنها وكما قال الإمام الطوى [٢] في كتابه " الطراز " [٣] أن الخباس يكس الكلام جمالاً موسيقياً يطرب الآذن.

" اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ " :

كرر الله سبحانه وتعالى الأمر بالقراءة تأنيساً وتأكيداً ومبالغة لهذا الأمر الآلهي للمصطفى.

---

(١) اخـتلاف اللفظـان في أنواع الحروف هذا الاختلاف أما أن يكونا متقاربين في المخـرج أولاً . فـإن كاناً متقاربين سمى الجناس بالمضارع ، وإلا أي إن لم يكونا مقاربين سمي لاحقاً .

راجـع ذلك في : شرح التلخيص للبابرني تحقيق د / محمد مصطفى رمضان صـ ٦٦٩ نشـر المنشـأة العامة للنشر والتوزيع الطبعة الأولى ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٣م طرابلس - ليبيا.

(٢) هو الإمام أمير المؤمنين يحي بن حمزة بن على بن إبراهيم العلوي اليمني.

(٣) الطراز المتضمن لإسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز للعلوى مراجعة جماعة من العلماء بإشراف الناشر ٣٥٥/٢.

طبع دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.

وقوله: " خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ " فنلاحظ أن كلمات الفقرة الثانية متفق معظمهـا مـع كلمات الفقرة الأولى في الوزن والتقفية ، فأدى ذلك إلي تمكين المعنى في الذهن مع الإحساس بصفاء ونقاء اللفظ.

ومن المحسنات البديعية اللفظية أيضاً والتي وردت في هذه الآية الكرمة الجناس بين قوله (خلق ، وعلق) وهو من الجناس الناقص اللاحق [١].

لأن الاخـتلاف بيـن اللفظين جاء من حرفي الخاء والعين وهما حرفان غير متقاربين في المخرج .

وقـد جاء الخباس هنا ليقوم بنصيبه في أداء المعنى بالإضافة إلي أن الجمال اللفظـي واضح حيث تقاربت الكلمتين إلي جانب أن المعنى يطلبهما ولا يغنى غـيرهما عنها وكما قال الإمام العلوى [٢] في كتابه " الطراز " [٣] أن الخباس يكس الكلام جمالاً موسيقياً يطرب الآذن.

" اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ " :

كرر الله سبحانه وتعالى الأمر بالقراءة تأنيساً وتأكيداً ومبالغة لهذا الأمر الآلهي للمصطفى.

---

(١) اخـتلاف اللفظـان في أنواع الحروف هذا الاختلاف أما أن يكونا متقاربين في المخـرج أولاً . فـإن كاناً متقاربين سمى الجناس بالمضارع ، وإلا أي إن لم يكونا مقاربين سمي لاحقاً .

راجـع ذلك في : شرح التلخيص للبابرني تحقيق د / محمد مصطفى رمضان صـ ٦٦٩ نشـر المنشـأة العامة للنشر والتوزيع الطبعة الأولى ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٣م طرابلس - ليبيا.

(٢) هو الإمام أمير المؤمنين يحي بن حمزة بن على بن إبراهيم العلوي اليمني.

(٣) الطراز المتضمن لإسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز للعلوى مراجعة جماعة من العلماء بإشراف الناشر ٣٥٥/٢.

طبع دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.

وذلك لان القراءة من الملكات التي لا تكسبها النفس إلا بالتكرار والتعود على ما جرت به العادة في الناس.

وهـذا أخـذا للكـلام على ظاهرة أما بعض المفسرين فقد ذهبوا إلي أن الأمر بمطلق القراءة في الآية الأولى تعني : " اقرأ لنفسك طلباً للثواب " واقـرأ في هذه الآية بمعنى التبليغ والتعليم للآمة ، أو أن الأولى للتعليم من جبريل عليه السلام والثانية للتعليم ، أو أن الأولى: اقرأ في صلاتك، والثانـية : اقرأ خارج صلاتك ، أو أن يراد بقوله الأول : " اقرأ " أوجد القراءة ، وبالثاني استعن باسم ربك [١].

ومـن الجائـز أن يكون قوله تعالى : " اقرأ " الثانية جواباً لقوله عليه الصلاة والسلام : ما أنا بقارئ فقال له " اقرأ وربك الأكرم ".

وعلى هذا فلا يكون تأكيداً ولا مقيداً بما ذكر من التبليغ للناس أو بكونه فـي الصلاة بل الأول أمر له بالقراءة لما سأله ما اقرأ وقال له إني أمي ولسـت بقـارئ قـال له : اقرأ بسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم.

ويـرى أسـتاذي الدكـتور / محمد أبو موسى : أنه كرر الأمر بالقراءة مرتيـن ليشـير مـرة إلي القراءة المعروفة ومره إلي التدبر لأنه نظر فـي الأرض وضـرب في مضاربها أفلم يسيروا في الأرض فينظروا ،

---

(١) راجـع ذلـك فـي : حاشية زاد ٦٣٨/٨٥ ، تفسير الفخر الرازي ١٠/٣٢ ، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج للأستاذ الدكتور / وهبة الزحيلى ٣١٧/٣٠ طبع دار الفكر العربي المعاصر بيروت - لبنان دار الفكر دمشق - الطبعة الأولى ١٤١١ هـ - ١٩٩١م

والـنظر بمعـنى الـتعقل والتدبر وهو قراءة أخفى واغمض وأنور من قراءة اللسان[١].

وقـد انفردت آية سورة العلق من بين آيات سور القرآن الكريم بصيغة "الإكـرام" فقد جاءت صيغة : الكرم : بمشتقاته في القرآن الكريم وصفا لله سبحانه وتعالى أو اسماً من أسمائه الحسنى ، أو وصفاً لعرشه وذلك في قوله تعالى"وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ" [٢].

وقوله تعالى:" فَتَعَالَى اللَّهُ المَلِكُ الحَقُّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ"[٣].

وقوله تعالى : " وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ " [٤].

وقوله تعالى : " تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ " [٥].

وجاءت صيغة " الإكرام " معرفة بـ" ال " ليفيد هذا اختصاص الله تعالى بهذه المـنزلة العـليا علـى عمـوم إطلاقها . ففي اللغة العربية حين نأتي بأفعل التفضـيل معرفاً بـ " ال " وغير مميز فتفيد هذه الصيغة من العموم والإطلاق مـالا تفيده هذه الصيغة نفسها من المفاضلة وهي مقيدة بمضاف إليه كقوله تعـالى : "يَـا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ " [٦].

---

(١) شرح أحاديث من صحيح البخاري للأستاذ الدكتور / محمد محمد أبو موسى صـ ٥٢ نشر مكتبة وهبة الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

(٢) سورة النمل آية " ٤٠ ".

(٣) سورة المؤمنون آية " ١١٦ ".

(٤) سورة الرحمن آية " ٢٧ ".

(٥) سورة الرحمن آية " ٧٨ ".

(٦) سورة الحجرات آية " ١٣ ".

والكـــرم بمعـــنى العـــزة ودلالـــته عليها للإطلاق والعموم وذلك بدلالة المعرفة للتخصيص .

أمـــا بعـــض العلماء فقد قيد هذه الصيغة بنقلها من المفاضلة بين كريم وأكرم فنرى الزمخشري [١] ت ٥٣٨هـ يقو " الذي له الكمال في زيادة كـــرمه على كل كرم ينعم على عباده النعم التي لا تحصى ، ويحلم عنهم فـــلا يعـــالجهم بالعقوبـــة مع كفرهم وجحودهم لنعمة وركوبهم المناهي واطـــراحهم الأوامر ، ويقبل توبتهم ويتجاوز عنهم بعد اقتراف العظائم ، فمـــا لكرمه غاية ولا أمد ، وكأنه ليس وراء التكرم بإفاد الفوائد العلمية تكـــرم [٢] فالمقصـــود ليس التفضيل بل المبالغة في زيادة الكرم المطلق الدال على العموم.

وبعض العلماء قدم هذه الصيغة بنقلها للتفضيل بين اكرم وكريم .

فنرى الإمام الرازي قد ساق في اكرمية الله سبحانه وتعالى وجوها :

١-أنـــه سبحانه وتعالى لا يحلم وقت الجناية فحسب ، بل يزيد إحسانه بعد الجناية.

---

(١) هو أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري ، الخوارزمي ، ولد سنة ٤٦٧هـ بزمخشـــر احـــدى قرى خوارزم ، توفى ٥٣٨هـ ، من أئمة العلم بالدين والتفسير والأدب واللغـــة مـــن تصانيفه : الكشاف عن حقائق التنزيل ، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، أساس البلاغة ، المفصل ، الفائق في غريب الحديث والأثر.

مراجع حياته:وفيات الأعيانلابن خلكان تحقيق احسان عباس ١٦٨/٥ ترجمة رقم ٧١١.

(٢) الكشاف ٢٧٠/٤.

٢- إنك كريم يا محمد يا رسول الله ولكن ربك أكرم فكل كريم ينال بكرمه نفعاً إما مدحاً أو ثواباً فالكريم عندهم لغرض، أما أنا فالأكرم إذ لا أفعله إلا لمحض الكريم.

٣- أنه الأكرم لأن له الابتداء في كل كرم وإحسان وكرمه غير مشوب بالتقصير.

٤- يحتمل أن يكون فيه حثاً على القراءة أو على الإخلاص ، أي أن الله هو الأكرم لأنه يجازيك بكل حرف مما تقرأ عشراً.

أو أن المعنى تجرد لدعوة الخلق ولا تخف أحداً ، فأنا أكرم من أن آمرك بهذا التكليف الشاق ثم لا أنصرك [١].

ومن الأساليب البلاغية الجميلة التي وردت في هذه الآية القصر فيقوله تعالى : "وربك الأكرم" ففي تعريف طرفي هذه الجملة الخبرية بالتعريف بالإضافة في قوله تعالى : " ربك " والتعريف بـ " ال : في قوله " الأكرم " ما يفيد هذا المصطلح البلاغي الجميل فقد قصر صفة الكرم على الله وحده لا تتعداه إلي أحد غيره فتمكن وتقرر المعنى في الذهن ، ونفى عن المخاطبين كل إنكار وشك فتمت الفائدة المرجوة بتعريف الطرفين.

ويتجلى مبحث الفصل والوصل فهذه الجملة مفصولة عن جملة " اقرأ باسم ربك" فلها حكم الاستئناف [٢] وذلك بتقدير الإجابة على سؤال مقدر

---

(١) تفسير الفخر الرازي ١٦/٣١.

(٢) هو ابتداء كلام على جهة الجواب لسؤال مقدر.

راجع ذلك في : الأكسير في علم التفسيرللطوفي البغدادي تحقيق أ . د / عبد القادر حسين صـ٢٢٦ طع دار الأوزاعي بيروت- لبنان ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

فـإذا جمع بين هذه الآية وبين حديث السيدة عائشة [١] كان الإستئناف جواباً عن قول الرسول صلى الله عليه وسلم لسيدنا جبريل عليه السلام " مـا أنـا بقارئ " فلا عجب إذن في أن تقرأ حتى وأن لم تكن قارئاً من قـبل ، فأميـتك يـا رسول الله أميه مباركة فتحت عليك خزائن علم الله سـبحانه وتعالى ، وقد علمك القراءة كما علم آدم الأسماء كلها ولم يكن قارئاً من قبل [٢].

وإذا نظرنا إلي الآية بعيداً عن حديث السيدة عائشة رضي الله عنها كان الاسـتئناف ناشـئاً عن سؤال يجيش في خاطر الرسول صلى الله عليه

---

(١)عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : أول ما بدئ به رسول الله صلى اله عليه وسـلم الرؤيا الصادقة فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حبب إليه الخـلاء يعنـي العزة فكان يأتي مراد يمكث هناك ثم يرجع إلي خديجة ، فجاءه ملك وهـو علـى حراء فقال له : اقرأ فقال صلى الله عليه وسلم : ما أنا بقارئ . قال : فأخذنـي فغطنى حتى بلغ من الجهد ثم أرسلني فقال : اقرأ . فقلت: " ما أنا بقارئ " فأخذني فغطنى حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال : " اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَـقَ الإِنسَـانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ".

راجع الحديث في : حاشية زاده ٦٣٦/٨.

(٢) هـي عائشـة بنـت أبي بكر الصديق ، افقه نساء المسلمين وأعلمهن بالدين والأدب ، تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم في السنة الثانية للهجرة ، روى عنها ٢٢١ حديث .

مراجع حياتها : وفيات الأعيان ١٦/٣ ترجمة رقم ٣١٨ ، إعلام النساء في عالمي العـرب والإسـلام لعمـر رضا كحاله ٩/٣ الطبعة الخامسة طبع مؤسسة الرسالة ١٩٨٤م.

وسلم أي كيف اقرأ وأنا لا أحس القراءة فكانت الإجابة بأن الذي علمك القراءة بواسطة القلم يعلمك ما لم تكن تعلم [١].

" الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ " :

أي علم الإنسان البيان بالقلم وهي نعمة من النعم التي امتن بها سبحانه وتعالى على خلقه ، وذلك لما له من كثرة الانتفاع ، فبالقلم استقامت أمور الدين والدنيا ، ومقتضى ظاهر هذه الآية " عَلَّمَ بِالْقَلَمِ " ولكن الله سبحانه وتعالى عدل عن الإضمار إلي التعريف باسم الموصول " الذي " لتأكيد ما يشعر به ربك اتجاه رسول الله من العناية والرعاية المستفادة من قوله : " اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ".

وخصصت هذه الصلة بالذكر إشارة إلي إزالة ما خطر ببال الرسول صلى الله عليه وسلم من تعذر القراءة عليه فهو أمر لا يعلم الكتابة به فكيف القراءة إذ قال لسيدنا جبريل عليه السلام " ما أنا بقارئ " ثلاث مرات . ولكن الله الذي علم الناس الكتابة بالقلم وعلمهم أيضاً القراءة قادر على أن يعلمك القراءة بدونهما. كما أن في التعبير باسم الموصول تعظيماً لله سبحانه وتعظيماً لشأن الصلة وهي التعليم ، أما مفعولي " علم " فمحذوفان دل عليهما قوله : " بالقلم أو التقدير " علم ناسا الكتابة فالمقصود إسناد التعليم إلي الله تعالى .

ومن المفسرين من قدر في الآية مفعولا قيل : هو آدم عليه السلام لأنه أول من كتب بالقلم . وقيل : هو إدريس لأنه أول من خط .

وقيل أراد سبحانه كل نبي كتب بالقلم لأنه ما علمه هذا إلا بتعليم الله إياه.

---

(١) التحرير والتنوير ٣٠/٤٣٩.

ويرى أبو حيان التوحيدي أنها على سبيل التفسير لا على إنها قرآن[١] والظاهر ان المفعول لا يُقدر إلا بما يدل على التعميم والإطلاق فيقدر المفعول علم الكاتب أن يكتب بالقلم، أو علم الإنسان البيان بالقلم.

ويتجلى أيضاً في هذه الآية مبحث الفصل لكمال الاتصال فقد فصل الله سبحانه وتعالى قوله : "الذي علم بالقلم" عن قوله : " وربك الأكرم " وذلك لأن الغرض المسوق له الكلام هو بيان وتوضيح لأكرميته سبحانه وتعالى وللأشعار أيضاً بأن العلم من أجل وأشرف النعم ، وأن علم الكتابة بالقلم وسيلة يتوصل بها إلي حفظ العلوم المهمة [٢].

ويتجلى الفصل أيضاً بالجملة المعترضة [٣] حيث جاءت "علم بالقلم " معترضة بين جملة " الإنسان ما لم يعلم "وهي خبر، وجملة "وربك الأكرم".

وذلك كقوله تعالى " إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً . أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ "[٤]. أولئك الخبر وأنا لا نضيع اعتراض فالفصل هنا لتأكيد ما أحميه التعليم بالقلم.

---

(١) راجع ذلك في : البحر المحيط ٤٩٣/٨ ، مجمع البيان في تفسير القرآن ٧٨١/٩.

(٢) تفسير حاشية زاده ٦٣٨/٨.

(٣) الجمل المعترضة هي أن يؤتي في أثناء كلام أو كلامين متصلين معنى بشيء يتم الغرض بدونه ولا يفوت بفواته فيكون فاصلا بين الكلام لكنه وهذا الكلام عند العرب يجري مجرى التوكيد.
راجع ذلك في : الخصائص لابن جنى تحقيق محمد علي النجار ٣٥/١ ، وما بعده طبع بيروت - الثانية .
البرهان في وجوه البيان لابن وهب تحقيق د/ حفني شرف صـ١٢٤ ، ١٢٥ الطبعة الأولى طبع مطبعة الرسالة ، البرهان في علوم القرآن للزركش تحقيق / محمد أبي الفضل إبراهيم ٥٦/٣ ط دار المعرفة - بيروت.

(٤) سورة الكهف آية " ٣٠ " .

ومن الأساليب البيانية الجميلة التي وردت في هذه السورة الكريمة والتي كانت وسيلة من وسائل تحقيق القصد.

الكناية [١] في قوله " القلم " فهو هنا كناية عن الكتابة فقد كان التعبير بها للتأكيد على فائدة الكناية ، فالقلم أداة الكتابة والذي به يدون العلم ، ويحفظ على مر الزمان والمكان وتتابع الأجيال .

الله سبحانه وتعالى في هذه السورة الكريمة وصف نفسه بأنه خلق الإنسان من علق، ثم وصف نفسه بأنه علمه بالقلم ولا مناسبة في ظاهر الأمر تجمع بينهما ولكن بالتحقيق في معنى الألفاظ نجد أن أول أطوار الإنسان في الخلقه كونه علقة وهي أدنى الأشياء ، وأعلاها صيرورته عالماً بحقائق الأمور، فكأنه يقول : إنني امتن عليك أيها الإنسان بنقلك من أدنى المراتب إلي أعلاها أي من العلقة إلي تعلم العلم [٢].

" عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ " :

أي علمه من أنواع الهدى والبيان وأمور الدين والدنيا والشرائع فكل علم يعلمه الإنسان يجب أن نعلم أنه من جهته سبحانه وتعالى، وفي هذا دلاله على أنه سبحانه عالم لأن العلم لا يقع إلا من عالم.

---

(١) الكناية لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه.

راجع ذلك في : الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني صـ١٨٣ ، بديع ابن المعتز ٦٤ ، الصناعتين ٣٨١ ، العمدة ١/٣٠٥.

(٢) راجع في تفسير الفخر الرازي ٣١/١٠ ، قصار السور نظرات وتأملات أ.د/ عبد القادر حسين صـ١٦ طبع مؤسسة الخليج العربي الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

وقد حذف مفعول علم أولا ثم جاء بعنوان عدم المعلومية ثانياً ، وذلك للدلالة على كما قدرته وكرم عز وجل ، وللأشعار أيضاً بأنه سبحانه وتعالى يعلم الرسول عليه الصلاة والسلام من العلوم مالا تحيط به العقول.

وقدر بعض المفسرين المفعول بقوله " علم الخط " وبالقلم متعلقاً به، وقد أيد هذا الرأي بقراءة ابن الزبير : الذي علم الخط بالقلم [١].

وتعريف الإنسان بـ " ال " يجوز أن يكون تعريفاً للجنس فتكون " ال " هنا لتعميم التعليم بعد أن تم تخصيصه بالقلم قبل ذلك .

وعلى هذا الرأي نجد أن الله سبحانه وتعالى قد اقتصر على الأمر بالقراءة للرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم بين بعد ذلك بأنه علم الإنسان بالقلم وعلمه أيضاً ما لم يعلم ، وذلك للإشارة إلي استمرار أمية الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام.

لأن الأمية وصف مكمل لإعجاز القرآن الكريم . فلو علم الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم الكتابة لما كان هناك وجه في إعجاز القرآن الكريم ، وذلك لجواز قول الكفار أن محمد صلى الله عليه وسلم قرأ القرآن الكريم في صحف الأولين.

قال تعالى : "وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلاَ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لاَّرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ " [٢].

---

(١) تفسير روح المعاني ٥٨٩/١٨.

(٢) سورة العنكبوت آية " ٤٨ " .

وقـد فصـل الله سبحانه وتعالى بين جملتي " الذي علم بالقلم : وجملة " علم الإنسـان ما لم يعلم " وذلك لكمال الاتصال فالمراد من الجملتين واحد ويكون المعنى علم الإنسان بالقلم ما لم يعلمه فتكون جملة " علم الإنسان ما لم يعلم " بـيان لقوله : " علم بالقلم " ويجوز أن تكون جملة " علم الإنسان ما لم يعلم " بدل اشتمال من " علم بالقلم " أي علمه به وبدونه من الأمور الكلية والجزئية والجلية والخفية ما لم يخطر بباله .

ونجـد أيضـاً فـي هذه الآية أسلوب الطباق السلبي بين قوله تعالى : " علم الإنسان " وقوله : " ما لم يعلم " فقد جمعت الآية بين فعلى مصدر واحد أحداهما مثبت والآخر منفي وذلك كقول الشاعر.

وننكر أن شئنا على الناس قولهم ولا يـنكرون القـول حين نقول[١]

فالطـباق هنا استخدم في معان أساسية داخلة ضمن مقتضيات الأحوال، وقد أدى دوراً هاماً في مظاهر إعجاز القرآن الكريم فكان بياناً لقدرة الله سبحانه وتعالى على تعليم الإنسان جميع أنواع العلوم التي لم يكن على علـم بهـا قبل ذلك.ونجد الإمام أبو هلال العسكري[٢] ت ٣٩٥ هـ في

---

(١) البيت للسمو أل بن عاديا من قصيدة من الطويل يقول مطلعها :

إذا المرء لم يدنس من اللوم عرضه فكـل رداء يـرتديه جمـيل

ينظر : ديوان السمو أل ص ٩١ طبع دار صادر بيروت .

(٢) هـو الحسن بن عبد الله بن سعيد بن سهل ، ت ٣٩٥هـ كان فقيها عالماً وقد غلب عليه الشعر والأدب والبلاغة ، من أثاره / الصناعتين ، ديوان المعاني، جهزة الأمثال.

مـراجع حياته : غية الوعاة في أخبار اللغويين والنحاة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ٥٠٦/١ نشر المكتبة العصرية صيداً ـ معجم البلدان لياقوت الحموي مادة " عسكر : طبع دار صادر - دار بيروت للطباعة.

كتابة الصناعتين ساق الكثير من الآيات القرآنية الدالة على الطباق كقوله تعالى : " يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ " (١) وقوله: "لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ" (٢) وقوله تعالى أيضاً : " لاَ يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ " (٣).

وساق أيضاً شواهد على الطباق من الشعر فقال :

لا تعجبي يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكى (٤)

ثم علق على ذلك فقال : فلم يقرب أحد من لفظ القرآن في اختصاره وصفائه ورونقه وبهائه وطلاوته ومائة وكذلك جميع ما في القرآن الكريم من الطباق (٥).

---

(١) سورة فاطر آية " ١٣ " .

(٢) سورة الأحزاب آية " ٤٣ " .

(٣) سورة الفرقان آية " ٣ " .

(٤) البيت لدعبل الخزاعي من قصيدة من الكامل يقول مطلعها:

أين الشباب وأية مسلكا لا ، أين يطلب ؟ ضل به هلكاً .

وقد ورد البيت في البديع في نقد الشعر منسوباً لمسلم بن الوليد ، برواية:

لا تضحك يا سلم مكان " لا تعجبي يا سلم " .

انظر : الديوان تحقيق د / محمد يوسف نجم صـ١١٧ طبعة عيناني الجديد بيروت ١٩٦٢م ، البديع في نقد الشعر لأسامه بن منقذ تحقيق د / أحمد أحمد بدوي ، د / حامد عبد المجيد صـ٣٧ طبع مصطفى الحلبي.

(٥) ينظر : الصناعتين " الكتابة والشعر " لأبي هلال العسكري تحقيق د / مفيد قميحة صـ٣٤٠ - ٣٤١ طبع دار الكتب العلمية بيروت - الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

ومن جمال البديع في هذه الآية أيضاً الإدماج (١) ليتم المعنى الذي قصده وهو التنبيه على مدح العلم وكفى في ذلك ترغيباً في الدين والعلم.

وذلك كقول أبي الطيب المتنبي يصف طول الليل عليه :

أقلب فيه اجفاني كأني أعد بها على الدهر الذنوبا (٢)

فإنه ضمن وصف الليل بطول الشكاية من الدهر وكثرة ذنوبه .

" كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى . أَن رَّآهُ استَغْنَى " :

نزلت هذه الآيات عقب نزو الخمس الآيات السابقة ، ونزلت في أبي جهل فقد ناصب رسول الله صلى الله عليه وسلم العداوه ، وقد روى مسلم عن أبي حازم عن أبي هريرة قال : قل أبو جهل : هل يعفر محمد وجهه (أي يسجد في الصلاة) بين أظهركم ؟ فقيل : نعم ، فقال : واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته فأتى رسول الله

---

(١) هو أن يدمج المتكلم غرضاً له في ضمن معنى قد نحاه من جملة المعاني ليوهم السامع أنه لم يقصده ، وإنما عرض له في كلامه لتتمه معناه الذي قصد إليه ، فهو أعم من الإستتباع لأن ذلك في المدح وهو مطلق.

راجع ذلك في : الصناعتين تحت اسم المضاعفة صـ٤٧٧ ، بديع ابن منقذ تحت اسم التعليق ، الإيضاح صـ٢١١ ، نهاية الأرب للنويري ١٦٤/٧ طبع دار الكتب المصرية ١٩٣٧م ، تحرير التجبير لابن أبي الأصبع تحقيق د / حنفي شرف صـ٤٤٩ طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لابن السبكي تحقيق د/ فايزة عبد الحميد ١١٦٧/٢ رسالة دكتوراه.

(٢) البيت من قصيدة له من الوافر مدح بها محمد بن سيار يقول مطلعها :

ضروب الناس عشاق ضروبا . فاعذرهم اشفهم حبيباً

انظر البيت في شرح ديوان أبي الطي المتنبي للعكبري ، تصحيح مصطفى السقا وآخرون ١٤٠/١ الطبعة الأخيرة ، طبع الحلبي ١٩٧٢م

صلى الله عليه وسلم وهو يصلى زعم ليطأ على رقبته فما فاجاهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقى بيده ، فقيل له مالك يا أبا احكم قال : إن بيني وبينه لخندقاً من نار وهولا واجنحه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لودنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً قال: فانزل الله: " إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى " (١).

وقيل أن ما نزل في أبي جهل ليست هذه الآيات ولكن عندما ناصب أبي جهل رسول لله صلى الله عليه وسلم العداوه ونهاه عن الصلاة في المسجد ، فروى أنه قال : لئن رأيت محمداً يسجد عند الكعبة لأطان على عنقه فيروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رد عليه وانتهره وتوعده فقال أبو جهل : ايتوعدني محمد والله ما بالوادي أعظم نديا مني (٢) فدل ذلك على أن ما نزل في أبي جهل هو قوله تعالى : " فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ....."

أما ابن جرير الطبري فجعل ما أنزل في أبي جهل مبدوءا بقوله : " أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى . عَبْداً إِذَا صَلَّى " وما بعدها (٣).

وقد وفق ابن عاشور بين هذه الروايات فقال : " أن النازل في أبي جهل بعضه مقصود وهو ما أوله : " أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى " الخ وبعضه تمهيداً توطئه وهو " إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى.أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى.إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى"(٤).

---

(١) راجع في ذلك : مجمع البيان في تفسير القرآن ٧٨٢/٩.

(٢) راجع في ذلك : تفسير ابي السعود ١٧٨/٩ ، البحر المحيط ٤٩٣/٨ ، المحرر الوجيز ٣٣٥/١٥.

(٣) تفسير بن جرير.

(٤) التحرير والتنوير ٤٤٣/٣٠.

" كـــلا " قـــيل أنها بمعنى حقاً لأنه ليس قبله ولا بعده شيء يتوجه إليه الردع والزجر كنا قالوا: "كَلاَّ وَالْقَمَرِ"[١] فإنهم قالوا معناه أي والقمر.

ولا نـــرى كـــيف قيل هذا الرأي : فكلا " متلوة مباشرة بطغيان الإنسان والآيات بعدها حافلة بما يتوجه إليه الردع والزجر.

وذهـــب أبو حيان إلي أن " كلا " بمعنى " ألا " الاستفتاحية . وذلك بسبب كســـر همـــزة إن بعدها فهي على ذلك جملة كما بعد حرف التنبيه نحو قوله تعالى: " أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ " [٢]ولو كان بمعنى حقاً لما كسرت همزة أن بعدها لكونها مفردة [٣].

وأوضـــح الآراء وأقربها إلي النفس هو الذي يقرر أن " كلا " حرف يدل علـــى المبالغة في الزجر والردع ، وذلك لان " كلا " تفيد في الأغلب أن ما بعدها يخالف ما قبلها ، وليس في الجملة التي قبلها ما يحتمل الزجر والـــردع فـــدل ذلك على أن المقصود بالزجر هو ما بعده أي ما أسخف عقل الإنسان فإنه مع ظهور أن الله مالك كل شيء عنده يتجاوز الحدود ولطغـــيان ويســـتكبر عن الخشوع لربه ، وليس المراد من الطغيان هنا الاستغراق في المال والجاه كما أدل على ذلك بعض المفسرين [٤].

---

(١) سورة المدثر آية " ٣٢ " .

(٢) سورة البقرة آية " ١٢ " .

(٣) نقلا عن إعراب القرآن وبيانه م ١٠ جـ٣٠/٥٣٠.

(٤) تفســـير أبـــي الســـعود ١٧٨/٧ ، حاشـــية الشهاب ٣٧٩/٨ ، تفسير التحرير والتنوير ٤٤٢/٣٠.

" الإنسان " اكثر المفسرين على المراد بالإنسان في هذه الآية إنسان واحد هو أبو جهل ودليلهم على ذلك بأن هذه الآية : كلا إن الإنسان ليطغى إلي آخر السورة نزلت في أبي جهل [١].

وقيل إن " ال" في قوله " إن الإنسان ليطغى " لتعريف الجنس أي جنس الإنسان وهذا هو الرأي الراجح والدليل على ذلك أن هذه السورة هي أول ما نزل من القرآن الكريم وذلك إلي قوله تعالى: " إن إلي ربك الرجعي " أما بعد هذه الآية إلي آخر السورة فقد نزل في شأن أبي جهل ، وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بضم ذلك إلي ما قبله من السورة فتأليف السور جري بأمر الله تعالى ، فقوله تعالى : " وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ " [٢] آخر ما نزل ثم أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بضم هذا إلي ما نزل قبله بزمان طويل [٣].

فعلى ذلك يكون المراد من الإنسان في قوله عالى " إن الإنسان ليطغى " جنس الإنسان .

ووجه ارتباط هذه الآيات بعضها ببعض هي أنه تعالى لما وضح بأنه رفع الإنسان من أخس المراتب وهي خلقه من علق إلي أعلى المراتب وهو التحلى بفضيلة العلم فكان على الإنسان أن يشكر تلك النعم إلا أنه كفر وطغى [٤] .

---

(١) تفسير الفخر الرازي ١٧/٣٢ ، تفسير القرطبي ١٢٣/١٩ ، البحر المحيط ٥/٨ .

(٢) سورة البقرة آية " ٢٨١ " .

(٣) تفسير القرطبي ١٢٣/١٩.

(٤) حاشية زاده ٦٤٠/٨.

" لـيطغى " أكد الخبر باللام التي تفيد التأكيد ؛ وذلك نقصد زيادة تحقيقه لغرابـته حـتى كأنه مما يتوقع أن يشك السمع فيه ، فقد قال الله تعاى لموسى عليه السلام عندما ادعى فرعون الربوبية:

" اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى " [١] بدون التأكيد باللام.

وهنا ذكر في أبي جهل "ليطغى" بزيادة اللام التي تفيد التأكيد والمبالغة وذلك:

١- لأنـه قـل لموسى عليه السلام أذهب إلي فرعون انه طغى قبل أن يلقـي موسى فرعون وقبل أن يعرض عليه الأدلة ، وقبل أن يدعى فرعون الربوبية .

وأمـا هـنا فأن الله ذكر هذه الآية تسلية للرسول عليه الصلاة والسلام حين رد عليه أبو جهل أقبح رد.

٢- إن فرعون مع ما كان يتمتع به من سلطان ما كان يزيد كفره عن القول، ومـا كـان ليتعرض لقتل موصى عليه السلام ولا إيذائه ، أما أبو جهل فكان مع قلة سلطانه كان يقصد قتل النبي صلى الله عليه وسلم .

٣- فـرعون أحسـن إلي موسى أولاً ، وقال آخر الأمر آمنت ، أما أبو جهـل فكان يحسد النبي في صباه ، وقل في آخر رمقه : بلغوا عني محمداً أني أموت ولا أحد ابغض إلي منه.

لهذه الأسباب كانت المبالغة والتأكيد في زيادة اللام أكثر [٢].

---

(١) سورة طه آية " ٢٤ ".

(٢) تفسير الفخر الرازي ١١/٣٢ ، روح المعاني ٥٩١/١٨.

وقد تكون "اللام" للتعليل لقوله: "إن الإنسان" وذلك بتقدير كلام بعد قوله "ما لم يعلم " أي ليشكر تلك النعم الجليلة فطغى وكفر وقال: " كلا " [١].

ومع أن هذه الآية وما بعدها قد نزلت بعد الخمس آيات التي افتتحت بها السورة بزمن ممتد إلا أن المناسبة والاتحاد جامع بينها وبين ما قبلها ، فلذلك فصل الله سبحانه وتعالى بين هذه الآية وبين الآية التي قبلها لـ ه كمال الاتصال فكانت هذه الآية رد على سؤال وارد على قوله تعالى : " علم الإنسان ما لم يعلم " أي هل أدى الإنسان حق الله سبحانه وتعالى في هذه النعم التي أنعم بها عليه ؟ أو كان الكلام رداً على هل كان للإنسان من علمه الذي تعلمه نفع له ، وللناس فكان الجواب قوله تعالى : " كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى ".

" أَن رَآهُ اسْتَغْنَى " :

أصل الأسلوب " لأن رآه " وفي هذا إيجاز بحذف حرف اللام تخفيفاً ؛ وذلك لأن حذف الجار مع أن كثير شائع ، والتقدير : إن الإنسان ليطغى لرؤيته نفسه مستغنياً .

وصرح الفراء بأن الله سبحانه وتعالى قال : " أن رآه " ولم يقل رأى نفسه ، كما يقال " قتل نفسه " ؛ وذلك لأن رأي من الأفعال التي تستدعي اسماً وخبراً ، نحو الظن والحسبان ، فلا يقتصر فيه على مفعول واحد ، والعرب تطرح النفس من هذا الجنس تقول : رأيتني وحسبتني وظننتني [٢].

---

(١) حاشية الشهاب ٣٧٩/٨.

(٢) تفسير الفخر الرازي ١٠/٣١ ، تفسير القرطبي ١٢٣/١٩.

الاستغناء : الغني بالمال أي مقابل الفقر المعروف فالسين والتاء للمبالغة في حصول الفعل مثل استجاب .

وقيل المراد أن رأي نفسه مستغنياً عن ربه سبحانه وتعالى بأمواله وعشيرته وأنصاره.

وعلى هذا الرأى فالكلام جاء على خلاف ظاهر الحال.

ويبعد هذا الرأي ويكون المراد بالاستغناء الغني بالمال ما روي أن هذه الآية نزلت في أبي جهل عندما قال للرسول صلى الله عليه وسلم أتزعم أن من استغنى طغى ، فاجعل لنا جبال مكة ذهباً فنطغى فتدع دينا ونتبع دينك ، قال فأتاه جبريل عليه السلام فقال : يا محمد خيرهم في ذلك فإن شاءوا فعلن بهم ما أرادوه . فإن لم يسلموا فعلنا بهم كما فعلنا بأصحاب المائدة [١].

فعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن القوم يقبلون ذلك ، فكف عنهم[٢] وتعليل الطغيان بالرؤية لا بنفس الاستغناء كما ينبئ عنه قول

---

(١) قال تعالى : " إِذْ قَالَ الحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ . قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ . قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ . قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَاباً لاَّ أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِّنَ العَالَمِينَ " سورة المائدة آية " ١١٣ " .

(٢) تفسير القرطبي ١٢٣/١٩ ، تفسر روح المعاني ٥٩٢/١٨.

تعـالى "وَلَـوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ" [١] للإيذان بأن مدار الطغيان هو زعم الإنسان الفاسد [٢].

" إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى " :

كلام مستأنف بأسلوب خبري فلم يعط المعنى فائدة الخبر ولا لازم الفائدة وإنما أعطى معنى التهديد والتحذير للطاغيين من الناس.

وتأكيد الخبر بـ " إن " للدلالة على أن مرجع الإنسان الطاغي إلي الله لا إلي غـيره فكان الأنسب لمقتضى الحال أن يكون الكلام خاليا من التأكيد ولكـن لمـا كـان معظم الطغاة ينسون هذه الحقيقة ويتجاهلونها نزلوا منزلة من ينكرها فلذلك أكد لهم الكلام بـ " إن " .

وعـبر أيضاً عن ذلك أسلوب التقديم الذي أفاد القصر والاختصاص إلي رجـوع الكـل بالموت والبعث إلي الله سبحنه وتعالى لا إلي غيره فهو مالكك ، ومالك ما تملكه.

وفي الآية التفاوت من الغيبة إلي الخطاب حيث ذكر الإنسان في قوله: " أن رآه " غائـباً أي رأى الإنسـان نفسه مستغنياً، ثم قال : " إلي ربك " والقصد من ذلك التهديد والوعيد من عاقبة الطغيان.

والخطـاب قيل للإنسان على جهة العموم فهو تعليم وتثبيت له ، وتهديد للطاغي فلا يحزنك طغيان الطاغي فإن مرجعه إلي .

قال تعالى : " إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَاداً . لِلطَّاغِينَ مَآباً " [٣].

---

(١) سورة الشورى آية " ٢٧ " .

(٢) تفسير أبي السعود ١٧٨/٧.

(٣) سورة النبأ آية " ٢١ - ٢٢ " .

وجـــوز بعضهم أن يكون الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والمراد أيضاً تهديد الطاغي وتحذيره [١].

والرجع في العربية : العود والرد ، ورجع الصوت تردده.

وأكـــثر المفســـرين على أن المراد من " الرجعى : بضم الراء ، الرجوع وهي مصدر بمعنى رجع على زنة فعلى كالبشرى .

ولم تأت صيغة " الرجعى " في القرآن الكريم إلا في هذه الآية .

وجملة " إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى " معترضة بين المقدمة والمقصد.

وهـــذا موعظـــة وتهديد على سبيل التعريض لمن يسمعه من الطغاة بأن غناه لا يدفع عنه الموت ؛ والموت رجوع إلي الله كقوله تعالى:" يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ " [٢].

وهذا على سبيل الحقيقة .

ويجـــوز أن تكـــون " الـــرجعى " مستعملاً في المجاز وهو لاحتياج إلي الـــرجوع إلـــيه ، لأن الإنسان مفتقر إلي الله في أهم أموره ، ولا يدري ماذا يصيره إليه ربه من العواقب فلا يزده زائف في هذه الحياة.

وفي هذه الآيات إدماج وجاء هذا المحسن البديعي المعنوي للتنبيه على مذمة المال والتنفير من الدنيا.

" أَرأَيْت الَّذِي يَنْهَى . عَبْداً إِذَا صَلَّى " :

جملـــة مســـتأنفة اســـتئنافاً ابتدائياً متصلاً باستئناف جملة " إن الإنسان لـــيطغى " فهي المقصودة بالروع والزجر الذي أفاده حرف " كلا " فهذه

---

(١) راجع ذلك في روح المعاني ٥٩٢/١٨.

(٢) سورة الانشقاق آية " ٦ " .

الآيــة نزلــت فــي أبي جهل لعنة الله عليه عندما قال : هل يعفر محمد وجهــه بيــن أظهــركم ؟ قالوا : نعم ، قال فوالذي يحلف به لئن رأيته لأطان عنقه ، ثم إنه رأى رسول الله صلى وسلم في الصلاة فنكص على عقبــيه، فقالوا له ملك يا أبا الحكم؟ فقال إن بيني وبينه لخندقاً من نار وهــولاً شــديداً [١]، وقــال نبــي الله : والذي نفسي بيده لو دناه مني لاختطفــته الملائكة عضواً عضواً فأنزل الله سبحانه وتعالى: أريت الذي ينهى إلي آخر السورة .

وقيل أنها نزلت في أمية بن خلف وكان ينهى سلمان عن الصلاة.

ولا يصح أن نلتفت إلي هذا الرأي ؛ لأنه لا خلاف في أن إسلام سلمان رضي الله عنه كان بالمدينة بعد الهجرة [٢].

والخطــاب في " أَرَأَيْتَ " أفاد العموم لكل من يصلح له الخطاب ممن له فطنة وعقل سليم ويجوز أن يكون الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم.

ويــرجح الرأي الأول وهو أن الخطاب أفاد العموم وذلك لأن الذي ينهي عبدا يشمل النبي صلى الله عليه وسلم ويشمل غيره لأن السياق يقتضى أن يشمل الخطاب بالرؤية النبي وهو من وقعت به الرؤية ويشمل أيضاً غير من وقعت عليه.

وعلــى هذا يكون الكلام قد خرج عن مقتضى الظاهر وأفاد الالتفات من الغيبة إلي الخطاب، لأنه عبر الإنسان قبل ذلك بضمير الغائب ثم قال هنا أرأيت للتعجب والإنكار.

---

(١) انظر : تفسير أبي السعود ١٧٩/٧.

(٢) انظر : تفسير الكشاف ٢٧١/٤ ، تفسير الفخر الرازي ٢٠/٣١.

ونجد الاستفهام بالهمزة في قوله تعالى : " أَرَأَيْتَ " والذي عرفه البلاغيون بقولهم : هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل بإحدى أدواته والتي منها الهمزة.

وقد خرج الاستفهام هنا عن هذا المعنى الحقيقي إلي معنى بلاغي وهو التعجب والإنكار الذي فهم من السياق وعرف بقرائن أحوال هذه الآيات فالاستفهام هنا أريد منه استحضار صورة المستفهم عنه في ذهن السامع لأن هذا أعون على إدراك المعنى واستقراره ، والتمهيد لتعقل الحكم الذي سيصدره المتكلم على تلك الصورة التي أثار الاستفهام المشاعر نحوها .

فالخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والتعجب والإنكار هنا لأنه عليه السلام قال : اللهم أعز الإسلام بأحد العمرين إما أبي جهل ، وإما عمر بن الخطاب فكأنه تعالى يتعجب ويقول له : أكنت تظن أنه يعزبه الإسلام أمثله يعزبه الإسلام ، وهو ينهي عبداً إذا صلى .

وإما أن يكون التعجب لأنه كان يلقب بأبي الحكم ، فكأنه سبحانه وتعالى يقول : كيف يليق به هذا اللقب وهو ينهى العبد حين الصلاة.

وإما أن يكون التعجب من هذا الأحمق الذي يأمر وينهي عن طاعة الخالق[1].

واستعمال الاستفهام في لتعجب مجاز مرسل في التركيب علاقته اللازمية والملزومية من إطلاق اسم الملزوم وإرادة اللازم.

---

(١) راجع ذلك في : تفسير الفخر الرازي ٣١/٢٠ ، التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم للدكتور / عبد العظيم إبراهيم المطعنى ٤/٢٧٤ وما بعدها ، نشر مكتبة وهبة الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

ومجيء الاستفهام في التعجب كثير كقوله تعالى : " هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الغَاشِيَةِ " (١) وكقوله تعالى أيضاً : " وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لاَ أَرَى الهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الغَائِبِينَ " (٢).

وأرأيت إذا كانت بمعنى أخبرني وفي هذه الحالة لا يقصد منها الاستخبار الحقيقي وإنما يقصد بها إنكار الحالة المستخبر عنها وتقبيحها كما في قوله تعالى : " أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ . فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ اليَتِيمَ " (٣).

و " أرأيت " إذا كانت بهذا المعنى فإنها تتعدى إلي مفعولين ، ويكون في الآية إيجاز بحذف المفعول الثاني لـ " أرأيت " وهو جملة استفهامية، ومن المعلوم أن المفعول الثاني لرأى لا يكون إلا جملة استفهامية كقوله تعالى : " قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ القَوْمُ الظَّالِمُونَ " (٤).

وقوله : " أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَداً . أَطَّلَعَ الغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْداً " (٥) وهو كثير في القرآن الكريم وقد حذف المفعول هنا لغرض بلاغي وهو الاختصار (٦).

وقد صرح به الله سبحانه وتعالى بعد " أرأيت " الثالثة في قوله تعالى: " أرأيت إن كذب وتولى " وهو قوله تعالى " آلم يعلم بأن الله يرى" (٧)

---

(١) سورة الغاشية آية " ١ ".

(٢) سورة النمل آية " ٢٠ " .

(٣) سورة الماعون آية " ١ - ٢ " .

(٤) سورة الأنعام آية " ٤٧ " .

(٥) سورة مريم آية " ٧٧ - ٧٨ " .

(٦) راجع ذلك في : روح المعاني م ٥٩٤/١٨.

(٧) راجع ذلك في : البحر المحيط ، النهر الماد بهامش من البحر المحيط ٤٩٤/٨.

علي عجزت عن وصف متاع الدنيا وقد شهد الله على قلته حيث قال : " قُـلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ " (١) فكيف أصف أخلاق النبي وقد شهد الله تعالى بأنه عظيم حيث قال : " وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ " (٢).

ونكر " العبد " وقيل للعموم ؛ لأنه عام في كل من ينهي عن الصلاة .

ويجوز أن يكون التنكير للمبالغة والتعظيم لأنه يدل على تعظيمه وكماله فـــي العبودية. فهو لا يعرف بغير العبودية فيكون نهيه عن تعظيم مولاه أبلغ عن نهي أي عبد كان (٣).

وتقييد النهي بالظرف " إذا صلى " يشعر بأن النهي حال التلبس بالصلاة فإذا أداة شرط تستعمل في المعاني المحققة الوقوع.

ونجـــد الإيجاز بالحذف في قوله تعالى " إذا صلى " فقد حذف هنا جواب الشرط وذلك لدلالة ذكره في جواب الشرط الثاني " ألم يعلم بأن الله يرى " وتقديـــره أن كان على الهدى أو أمر بالتقوى أفلم يعلم ذلك الناهي فإن الله يرى (٤).

وفي هذه الآيات فصل بين الجمل وذلك للاعتناء والاهتمام بالوعيد حيث يشعر الكلام بأن كل جملة مقصودة لذاتها فقد شفع أولاً على هذا الناهي

---

(١) سورة النساء آية " ٧٧ ".

(٢) سورة القلم آية " ٤ ".

(٣) حاشية الشهاب ٨/٣٨٠.

(٤) يـــنظر ذلـــك في : البحر المحيط ٨/٤٩٤ ، حاشية الشهاب ٨/٣٨٠ ، إعراب القرآن وبيانه م ١٠ جـــ٣٠/٥٣٢.

أولاً بنهيه عن الصلاة ، أي أرأيت أيها الإنسان عمن ينهي بعض عباد الله سبحانه وتعالى عن الصلاة ألم يعلم بأن الله يرى [١].

ثم نجد الكناية أيضاً في قوله تعالى : "ينهى" فقد كنى بهذا الفعل عن أبي جهل ثم كنى بالعبد عن سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك تفخيماً لشأن النبي وتعظيماً له فهو أشد الخلق عبودية ، ومثل هذه الكناية في قوله تعالى "سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ"[٢] وقوله تعالى أيضاً "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الكِتَابَ" [٣].

" أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الهُدَى . أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى " :

كرر الاستفهام هنا والذي خرج عن معناه الحقيقي إلي معنى مجازي جديد وذلك تأكيداً في التعجب والتقرير والإنكار . فماذا ترى من حال هذا الفاسق الذي ينهى عبداً عن الصلاة ، أترى لو كان هذا الفاسق مؤمناً بربه قائماً على الهدى ، أو آمراً بالتقوى ، فأي حالية يكون خيراً له.

ونجد هنا الإيجاز بالحذف فقد حذف مفعول " رأيت " لغرض بلاغي وهو الاختصار بحذف المفعول الأول لدلالة قوله تعالى " الذي ينهى عبداً " .

وحذف المفعول الثاني لدلالة مفعول " أرأيت " الثالثة في قوله تعالى " أرأيت إن كذب وتولى " عليه وهو قوله تعالى " ألم يعلم بأن الله يرى " أو دل عليه قوله " ينهى " المتقدم والتقدير : أرأيته [٤].

---

(١) ينظر : روح المعاني م ١٨/٥٩٥.

(٢) سورة الإسراء آية " ١ " .

(٣) سورة الكهف آية " ١ " .

(٤) التحرير والتنوير ٣٠/٤٤٧.

أما الضمير في قوله تعالى :" إن كان " فيعود على الناهى .

ويجوز أن يعود الضمير على المصلى ؛ وذلك لأنه إنما ضم إلي فعل الصلاة الأمر بالتقوى ، فقد كان هذا الفاسق الطاغي يشق عليه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أمران الصلاة والدعاء إلي الله تعالى ولأنه كان صلى الله عليه وسلم لا يوجد إلا في أمرين إما في إصلاح نفسه بفعل الصلاة ، أو إصلاح غيره بالأمر بالتقوى فلذلك كان هذا الفاسق يشق عليه كل أفعال الرسول صلى الله عليه وسلم .

ويتجلى الشرط في قوله تعالى "إن كان على الهدى" في أحسن معانيه فمن المعلوم أن أداة الشرط "إن" تستعمل في الشرط الغالبة فيه عدم الجزم بوقوع فعل الشرط فيه ، وهو ما يتردد في وقوعه في المستقبل أو يظن عدم وقوعه ، أو يكون مما لا يقع إلا نادراً ؛ فإذا كان الشرط كما هنا مجزوماً بعدم وقوعه في المستقبل فلا تستعمل فيه " إن " إلا لغرض بلاغي وقد جئ به هنا لإرخاء العنان والتهكم لأنه لا يكون في النهي عن عبادة الله سبحانه وتعالى هدى [١].

ونجد هنا أيضاً إلا يجاز بحذف جواب هذا الشرط لدلالة ذكر في جواب الشرط الثاني وهو قوله تعالى " ألم يعلم بأن الله يرى " .

وتقدير الكلام إن كان على الهدى أو آمراً بالتقوى ألم يعلم بأن الله يراه.

---

(١) راجع ذلك في : البرهان في علوم القرآن للزركش تحقيق محمد أبو الفضل ٢/ ٣٥٩ وما بعدها بتصرف طبع مكتبة دار التراث القاهرة . من بلاغة النظم القرآني بسيوني عبد الفتاح صـ٦٥ طبع مطبعة الحسين الإسلامية القاهرة الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م ، التحرير والتنوير ٣٠/٤٤٧.

ويتجلى أيضاً مبحث الفصل البلاغي في هذه الآية فقد فصل جملة " أرأيت إن كان على الهدى " عن جملة " أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلى " لوقوعها موقع التكرار[١] وذلك لأن فيها تكرار التعجب من أحوال هذا الشخص الفاسق وتم الفصل أيضاً للاعتناء بالوعيد والتشنيع فكأنها جملة قائمة بذاتها منفصلة عن الجملة السابقة أي أخبرني يا محمد عن هذا الفاسق الطاغي الذي زعم أنه على هدى ورشاد ويأمر بالتقوى ألم يعلم بأن الله عالم بما يفعله وسيجازيه عليه.

وقد عبر في هذه الآية بأداة الاستعلاء [٢] " على " في قوله تعالى "إن كان على الهدى" إشارة إلي أنه في غاية اثبات والتمكن والهيمنة فهو استعلاء مجازي فقد شبه شدة التمكن والثبات من الهدى بتمكن المستعلى علي المكان بجامع الهيمنة والسيطرة في كل منهما وذلك كقوله تعالى " أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ " [٣].

أما " أو " في قوله تعالى : " أو أمر بالتقوى " فهي للتقسيم [٤] وكان من الممكن أن يكون التعبير بـ " الواو " مثلا والتي تفيد التقسيم أيضاً إلا انه عدل عنها إلي " أو " لأن " أو " تدل على توخى الصدق في الخبر

---

(١) التحرير والتنوير ٤٤٧/٣٠.

(٢) ينظر : التحرير والتنوير ٤٤٧/٣٠.

(٣) سورة البقرة آية " ٥ " .

(٤) وهو استيفاء المتكلم جميع أقسام المعنى الذي هو آخذ في شرح ما فيه بحيث لا يغادر منه شيئاً إلا ويذكره . وقد تم بحث التقسيم في البيان والتبين ٢٣٨/١ ، نقد الشعر صـ٤٦ ، جواهر الألفاظ صـ٦ . الصناعتين ٣٤١ ، سر الفصاحة ٣٢٤ ، دلائل الإعجاز صـ٨٤ ، بديع ابن منقذ ٢١ المفتاح ٢٢٥ ، المثل السائر تحت اسم التناسب بين المعاني ٢٧٩ ، الإيضاح ٤٧/٦ ، خزانة ابن حجة ٣٦٢.

والمفعـــول الثاني هو الجملة الاستفهامية في قوله تالى : " ألم يعلم بأن الله يرى " [١].

والخطاب هنا للرسول صلى الله عليه وسلم أي اخبرني يا محمد عن هذا الكافـــر الفاســـق أبي جهل الذي كذب وتولى عن مظاهر قدرتي الباهرة وبمـــا جئـــت بـــه أنت يا محمد ألم يعلم بعقله بأن الله يرى هذه الأعمال القبيحة وأنه سيحاسبه على كل جرائمه ؟ .

وقـــيل أن الخطـــاب للفاســـق الكافر أي اخبرني يا أيها الفاسق إن كان رســـول الله صلى الله عليه وسلم كاذباً أو متولياً عن الحق أفلا يعلم أن خالقه يراه حتى ينتهي عما يفعل، فلا يحتاج إلي نهيك ؟ .

ولكـــن إلا ظهـــر والأحسن أن يكون الخطاب عاماً لكل م يصلح أن يكون مخاطـــباً ممن له فطنه وعقل سليم فيكون الخطاب على هذا للالتفات من الغيـــبة إلي الخطاب ، حيث ذكر الإنسان غائباً قبل ذلك ثم قال " رأيت " والقصد من ذلك التوبيخ والتقريع.

وذلك لأن هذه الآية وأن نزلت في حق أبي جل لكنها عامة لكل من نهى عن طاعة الله سبحانه وتعالى [٢].

وجـــئ بأن الشرطية هنا أيضا لا رخاء العنان والتهكم ولكنه على عكس التهكم الأول لأنه لا شك في أنه مكذب متول فمآله إلي وحدي وكان هذا الشـــرط أشـــعار وإيناناً بما سيحدث للنبي صلى الله عليه وسلم من أبي

---

(١) راجع ذلك في : اللباب في علوم الكتاب ٢٠/٤١٩.

(٢) راجع ذلك في : حاشية زاده ٨/٦٤٢.

جهل وبأنه سيكذبه حين يدعو للإسلام ويتولى عنه ، ووعد من الله بأنه سنتصف له منه.

ونجـد أيضاً الإيجاز بالحذف يتجلى في هذه الآية أيضاً فقد حذف جواب الشرط وقد دلت عليه الجملة الاستفهامية والتقدير : إن كذب وتولى ألم يعلم بأن الله يرى .

والإيجاز بالحذف أيضاً في قوله " كذب " فقد حذف مفعول كذب لدلالة ما قبل علية.

والتقدير : ان كذبه ، أي العبد الذي صلى .

" أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ":

الاسـتفهام للتوبـيخ فقد ذكر في الآيات السابقة ما يحتاج إلي الرد على فعلهـم هذا فجاء هذا الرد . هنا في الآية وهو قوله تعالى: "ألم يعلم بأن الله يرى" على سبيل الاستفهام بالتوبيخ والتقريع ؛ لإثارة المشاعر حتى تقتنع هذه النفس الأمارة بالسوء بالتفكير السليم وبأنهم يجب أن يعلموا أن الله مطلع على أحوالهم وسيجازيهم وترك المعصية ما بقي له.

ونجـد هـنا أيضاً الإيجاز بالحذف في هذه الآية فقد حذف مفعول يرى وذلك للدلالة على العموم[١].

وقد نسب الله سبحانه وتعالى الرؤية إليه على سبيل الإدراك ؛ وذلك لأن الله يـدرك جميع الأعمال بإدراك العالم الحكيم فالله سبحانه وتعالى منزه عن الجوارح وغير ذلك من المحدثات [٢].

---

(١) راجع ذلك في : التحرير والتنوير ٤٤٩/٣٠.

(٢) راجع ذلك في : المحرر الوجيز ٣٣٦/١٥ .

وكنى الله سبحانه وتعالى عن التوعد اتهديد والتقريع لهذا الفاسق بقوله تعالى " ألم يعلم " كما كنى أيضاً عن الوعيد والعقاب [١] وأنه مطلع على أحواله وسيجازيه عليها بقوله تعالى "بأن الله يرى".

" كَلاَّ لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَةِ " :

" كـلا " ردع وزجـر لهذا الناهي اللعين على فعله إذا لم يرتدع وينتهي عـنه والـلام فـي " لئـن " موطـئه للقسم أي والله لئن لم ينته عما يفعل لنأخذن بناصيته ولنسحبنه بها إلي النار ، فالقسم للوعيد والتهديد لهذا الضال.

وجملة " لنفسعاً " جواباً لهذا القسم .

" والسـفع " : القـبض الشديد مع الجذب ، وقيل : السفع : الضرب أي لنلطمن وجهه [٢].

و " الناصية " : مقدم شعر الرأس.

وقـيل المراد الناصية لنسحبنه على وجهة في الدنيا يوم بدر ، وفي هذا الكلام بشرى للمسلمين بأن الله سبحانه وتعالى سيمكنهم من ناصية هذا الفاسـق حتى يجروه إن لم ينته وقد فعل عز وجل هذا فقد روى أنه لما نزلت سورة الرحمن قال الرسول صلى الله عليه وسلم، من يقرؤها على رؤسـاء قـريش فقام ابن مسعود وقال : أنا يا رسول الله ، فلم يأذن له عليه الصلاة والسلام لضعفه وصغر جثته حتى قالها ثلاثاً ، وفي كل مرة كان ابن مسعود يقول أنا يا رسول الله فأذن صلى الله عليه وسلم فأتاهم

---

(١) راجع ذلك في : التحرير والتنوير ٤٤٨/٣٠ .

(٢) راجع ذلك في : تفسير الفخر الرازي ٢٣/٣٢ .

وهم مجتمعون حول الكعبة فشرع في القراءة فقام أبو جهل فلطمه وشق أذنـــه وأدمـــاه فرجع وعيناه تدمعان ، فنزل جبريل عليه السلام ضاحكاً فقـــال له صلى الله في ذلك فقال عليه السلام ستعلم ، فلما كان يوم بدر قـــال علـــيه الصلاة والسلام ألتمس أبا جهل في القتلى فرآه ابن مسعود مصـــروعاً يخور فارتقى على صدره ففتح عينه فعرفه فقال :لقد ارتقيت مرتقى صعباً يا رويعي الغنم ، فقال ابن مسعود : الإسلام يعلو ولا يعلى عليه ، فعالج قطع رأسه ، فقال اللعين دونك فأقطعه بسيفي فقطعه ، ولم يقـــدر عـــى حلمه فشق أذنه وجعل فيها خيطاً وجعل يجره حتى جاء به إلـــي رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه جبريل عليه السلام يضحك ويقول يا رسول الله أذن بأذن ولرأس زيادة [١].

وقـــد خصـــت الناصية بالذكر ؛ لأن أبا جهل كان شديد الاهتمام بتطبيب وترحيل ناصيته.

و "ال" في الناصية للعهد التقديري[٢] فتكون للتنصيص والتخصيص على ناصية هذا الكاذب.

والأحســـن أن تكون " ال " للتعريف كأنه يقول الناصية المعروفة عندكم ذاتها ولكنكم لا تعرفون صفاتها فهي ناصية كاذبة خاطئة [٣].

و " الناصـــية " كـــناية عـــن الوجه والرأس ، فكان لا يقبض على شعر أحدهـــم أو يسحب على وجهه بهذه الصورة إلا لإذلاله وقهره وهذا دليل

---

(١) نقلا عن روح المعاني ٥٩٨/١٨.

(٢) راجع ذلك في : التحير والتنوير ٤٥٠/٣٠.

(٣) ينظر : تفسير الفخر الرازي ٢٤/٣١.

علـــى السيطرة والتمكن والاستيلاء لأن من يؤخذ من ناصيته لا يترك له فرصة للهرب [١].

والأحســـن أن تكـــون " الناصـــية " كناية عن جميع أجزاء الشخص أي لنأخذنه سحباً إلي النار بدليل قوله تعالى: "فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالأَقْدَامِ" [٢].

والـــباء هنا في قوله تعالى " بالناصية " لتأكيد هذا السفع بالناصية وذلك أقصى آيات الترهيب والوعيد لذلك المغتر.

ومقتضـــى الحال هنا غير محتاج إلي أكثر من هذا التأكيد لإيقاع الفعل، فلذلـــك عـــبر بالحقيقة ولم ينقلها إلي معنى مجازي وذلك إشارة إلي أن هـــذا الناهـــي الكـــاذب أقـــل نفحـــة من العذاب تكفي في اهلاكه فقال : " لنسفعاً بالناصية "[٣].

" نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ " :

وذكرت " ناصية " للتنبيه على علة السفع لتشمل كل ناصية هذه صفتها وذلك لزيادة التشنيع بها .

وصفت الناصية بالكذب والخطأ،والناصية لا توصف بهذه الأوصاف وإنما يوصف صاحب الناصية ، فهنا مجاز عقلي في إسناد ما للكل

---

(١) روح المعني : م ١٨/٦٠٠ .

(٢) سورة الرحمن آية " ٤١ ".

(٣) راجع ذلك في : الكشاف ٤/٢٧٢ .

إلي الجزء كما يقال : نهاره صائم ، وليله قائم أي هو صائم في نهاره ، وقائم في ليله (١).

ونرى في هذا المجاز من التخييل ما نرى حيث جعل الله سبحانه وتعالى الكذب والخطأ بأديان من ناصية هذا المكذب ولذلك كانت الناصية جديرة بأن تسفع .

ووصف الناصية بالكذب والخطأ كوصف الوجود بالنظر في قوله تعالى " وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ . إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ " (٢).

---

(١) والمجاز العقلي هو : إسناد الفعل أو ما في معناه إلي غير ما هو له لعلاقة مع قرينه مانعة من إرادة المعنى الحقيقى وسمى مجازاً عقلياً لإسناده إلي العقل دون الوضع. كما يسمى بالمجاز الحكمي وذلك لأن المجاز ليس في ذات الكلمة ولا في نفس اللفظ ولكن المجاز في الحكم الذي جرى على اللفظ والذي يسوغ ويحسن هذا المجاز وجود علاقة وصله رابطة بين الفاعل الحقيقي والفاعل المجازي ، فتعلقه بالفاعل الحقيقي من حيث صدوره منه ، وبالفاعل المجازي من حيث أنه سبب فيه كما يجب وجود القرينة لأنها الشيء الذي يدل على أن هذا الإسناد مجاز وليس حقيقة . ومن علاقات المجاز العقلي السببية كقوله تعالى " إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ " (سورة القصص آية " ٤ ") . فإسناد الذبح إلي فرعون مجاز عقلي لأن فرعون ليس هو الفاعل الحقيقي وإنما هو مجرد أمر لذبح وسبب فيه وهكذا باقي العلاقات المصدرية والزمانية والمكانية والمفعولية والفاعلية إلي غير ذلك. راجع ذلك في أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجاني شرح د / محمد عبد المنعم خفاجي ٢١١/٢ وما بعدها الطبعة الثانية نشر مكتبة القاهرة ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م تحريد العلامة البناني على متن التلخيص ١١٦/١ طبع المطبعة العلمية الطبعة الأولى ١٣١٥هـ ، المطول للتفتازاني صـ٥٧ طبع مطبعة أحمد كامل ١٣٣٠هـ .

(٢) سورة القيامة آية " ٢٢ - ٢٣ " .

ونكرت " ناصية " لاعتبار الخبس أي هي من جنس قوله تعالى " ناصية كاذبة خاطئة " فوصفت بهذه الأوصاف فاستقلت بالفائدة.

" فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ " :

هذا وعيد للكافر وقد تحدى الله سبحانه وتعالى هذا الطاغية المتكبر مع التهكم والتوبيخ بأن يطلب أهل مجلسه وعشيرته ، فلذلك جئ بالفعل المضارع المقترن بلام الأمر(١): والتي اقترنت أيضاً بالفاء فدل ذلك على التعجيز ، وذلك للإشارة إلي أن هذا الطاغية لا يقدر على شيء وإذا فعل ذلك ترتب عليه دعوة الملائكة الغلاظ الشداد ، فلما لم يستطع هذا الطاغي فعل ذلك دل على ظهور معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم.

وفي الآية إيجاز بحذف المضاف أي فليدع أهل نادية ، وقدر المضاف لأن نفس المجلس والمكان لا يدعى .

وأما أن يكون الإسناد هنا مجازي فالكلام مجاز مرسل والعلاقة المحلية فالمراد أهل النادي ؛ لأن النادي لا يدعى وإنما يدعى أهله فأطلق المحل وأراد الحال.

---

(١) صيغة من صيغ الأمر الذي يدل على طلب الفعل على جهة الاستعلاء وله صيغ أخرى منها فعل الأمر ، واسم فعل الأمر ، والمصدر النائب عن فعل الأمر وقد تخرج صيغة الأمر عن معناها الحقيقي إلي معاني مجازية أخرى تفهم بمعونة القرائن كالدعاء والالتماس ، والتسوية بين الشيئين ، والإباحة والتخبير إلي غير ذلك من الافراض.

راجع ذلك في : شرح السعد المسمى مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ١٠٧/٢ طبع مطبعة صبيح . معاني التراكيب أ . د / عبد الفتاح لاشين ٦٣/٢ طبع ونشر دار الكتاب الجامعي القاهرة ١٩٩٨.

ونظـير هـذا قوله تعالى " وَاسْأَلِ القَرْيَةَ الَتِي كُنَّا فِيهَا " [١] فالمراد أهل القرية لأن القرية لا تسأل وفي لسان العرب : والندا المجالسة ، وناديته : جالسـته ، والندى : المجلس ماداموا مجتمعين فيه ، فإذا تفرقوا عنه فلـيس بـندى ... ولا يسمى نادياً حتى يكون فيه أهله . وإذا تفرقوا لم يكن نادياً .

والنادي: مجتمع القوم وأهل المجلس ، فيقع على المجلس وأهله [٢].

ومنه سميت دار الندوة بمكة والتي بناها قصى لأنهم كان يندون فيها أي يجتمعون فيها للمشاورة.

وإضافة النادي إلي ضميره لأنه كان رئيسهم وكانوا يجتمعون إليه.

ومـن المحسنات البديعية الجميلة والتي وردت في هذه الآية التفريع [٣] علـى الوعد فقد وصف الله هذا الكافر الفاسق بصفات كثيرة في الآيات

---

(١) سورة يوسف آية " ٨٢ ".

(٢) لسنان العرب لابن منظور مادة (ن دى).

(٣) والتفريع هو : من الفعل فرع بمعنى فرق ، والتفريع مصدر قولك : فرعت من هـذا الأصل فروعاً بمعنى : استخرجتها . وأما مفهومه في مصطلح علماء البلاغة فهـو عبارة عن اتيانك بقاعدة تكون أصلاً ومقدمة لما تريده من المدح أو الذم ، ثم تأتـي بعـد ذلك بتفصيل المدح أو الذم وتعينه بعد الإجمال ، فالكلام أول يأتي على جهة المقدمة وبالآخر يأتي على جهة الإكمال والتتميم والتفريع لما أصلته من قبل. راجع ذلك في العمدة لابن رشيق تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ٤٢/٢ الطبعة الخامسة طبع دار الجيل ١٤٠١هـ - ١٩٨١م ، المعجم المفصل في علوم البلاغة صـ٣٩٩.

السابقة وأتى هنا بهذا التحدى المعجز فزاد بذلك تأكيد صفات هذا المتكبر الفاسق ، وذلك كقول المتنبي يصف ليلاً :

أقلبي فيه أجفاني كأني أعد بها على الدهر الذنوبا [1]

فالشاعر وصف كثرة سهره ثم أكد ذلك بأنه يشبه كثرة ذنوب الدهر عنده .

ومنسبة هذا الوعد ما رواه الترميذي والنسائي عن ابن عباس قال: كان رسول الله صلى عليه وسلم يصلى عند المقام فمر به أبو جهل فقال: يا محمد ألم أنهك عن هذا ، وتوعده ، فأغلظ له رسول الله ، فقال لأبو جهل : يا محمدِ بأي شئ تهددني ؟ أما والله إني لأكثر أهل هذا الوادي نادياً ، فأنزل اله تعالى " فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ. سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ " يعنى أن أبا جهل أراد بقوله ذلك تهديد النبي صلى الله عليه وسلم بأنه يعزي عليه أهل نادية [2].

" سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ " :

الأصل سندعو حذفت الواو خط المصحف للتخفيف والاختصار ولتشاكل أيضاً قوله تعالى "فليدع".

---

(١) البيت من قصيدة له من الوافر مدح بها محمد بن سيار بن مكرم التميمي يقول مطعها :

ضورب الناس عشاق ضروبا فاغدرهم اشفهم حبيباً

يراجع البيت في ديوان المتنبي شرح العكبري تصحيح مصطفى السقا وآخرون ١/ ١٤٠ الطبعة الأخيرة طبع الحلبي ١٩٧٢م.

(٢) التحرير والتنوير ٣٠/٤٥١ .

وقيل كان الحذف لأنه مجزوم في جوا الأمر التعجيزي ، أي فإن دعا أو جل نادية دعونا نحن له زبانية جهنم [١].

ومن الممكن أن يكون الحذف لغرض بلاغي وهو تشبيه هذا الفعل بفعل الأمر الذي يدل على أن هذه الآية خرجت إلي معنى مجازي وهو أن هذا الدعاء أمر لابد من إيقاع مضمونه ، ومن إجابة المستمعين إلي ما دعوا إليه [٢]وذلك كقوله تعال : " يَدْعُ الدَّاعِ " [٣].

والسين التي تدل على الاستقبال لتأكيد هذا الأمر التعجيزي الذي يدل على التمكين والسيطرة ولأنه لا يقدر على شيء.

والزبانية : الشرط [٤] وهي من الدفع وسمى بذلك ملائكة العذاب وهم خزنة جهنم أرجلهم في الأرض ورؤوسهم في السماء ، سموا زبانية لأنهم يزبون الكفار أي يدفعونهم في جهنم .

وفي هذه الآيات تقديماً وتأخيراً ، أي لنسفعة بالناصية ، سندع الزبانية في الآخرة ، فليدع هو نادية حينئذ فليمنعوه [٥].

---

(١) المصدر السابق ٤٥٢/٣٠ ، روح المعاني م ٦٠١/١٨ .

(٢) نظم الدرر في ناسب الآيات والسور ٤٨٨/٨ .

(٣) سورة القمر آية " ٦ " .

(٤) الشرط : جمع شرط بالسكون والحركة وهم كبار الجند وأول كتيبة تحضر الحرب ، من الشرط وهو العلامة ، وسموا شرطاً لأنهم جعلوا لأنفسهم علامة يعرفون بها .

يراجع : لسان العرب مادة : (ز ب ن).

(٥) تفسير الفخر الرازي ٢٥/٣١ .

" كَلاَّ لاَ تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ " :

فـــي ضـــوء هذا المصير المتخيل المرعب تختم السور بتوجيه المؤمن الصالح إلي الإصرار والثبات على إيمانه.

ونجد هنا تأكيد التحدي والتعجيز وذلك بالزجر والردع لإبطال ما تضمنه قـــول هـــذا الفاســـق لرســـول الله صلى الله عليه وسلم إني لأكثر أهل هذا الوادي ناديا والتعبير بالنهي [١] في قوله تعالى" لا تطعه " يجوز أن يكـــون علـــى ظاهـــرة ويكـــون المراد طلب الكف عن الفعل على جهة الاستعلاء فقط .

ويجـــوز أن يكون النهي هنا قد خرج عن هذا المعنى إلي غرض بلاغي وهـــو الدوام والاستمرار أي دم واستمر على ما أنت عليه من عصيانك لهذا الكافر الفاسق كقوله تعالى " فَلاَ تُطِعِ المُكَذِّبِينَ " [٢].

والأمـــر فـــي قوله تعالى "واسجد" على ظاهرة وذلك لأن الأمر بالسجود صادر من الله سبحانه وتعاى فطلب الفعل جاء على جهة الاستعلاء.

ويجـــوز أن يكـــون الأمر قد خرج من هذا المعنى إلي معنى بلاغي وهو الدوام والاستمرار على السجود غير مكترث . بهذا الفاسق.

---

(١) هـــو طلـــب الكـــف عن الفعل على جهة الاستعلاء وله صيغة واحدة هي الفعل المضارع المقترن بلا الناهية ، وقد تخرج هذه الصيغة عن هذا المعنى وتستعمل في معان أخرى تفهم بالقرائن من سياق الحديث كالدعاء والالتماس والتوبيخ والإرشاد وغير ذلك كثير.

راجع ذلك في : شروح التلخيص ٣٢٤/٢ طبع دار السرور بيروت – لبنان .

(٢) سورة القلم آية " ٨ " .

وقد يكون المراد من السجود هنا الصلاة [١] ويكون التعبير مجاز مرسل علاقته الجزئية وذلك لأنه أطلق الجزء وهو السجود فهو اهم لأركان وأراد الكل وهو الصلاة وذلك كقوله تعالى " قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً " [٢] فقد عبر بالقيام وأراد الصلاة لأنه أظهر الأركان.

وعبر عن الصلاة بأفضل الأوصاف وهو السجود لأن أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد . وقد قالت السيدة عائشة رضي الله عنها للنبي صلى الله عليه وسلم : قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فما هذا البكاء في السجود وما هذا الجهد الشديد؟ قال ألا أكون عبداً شكورا [٣].

" وأقترب " الخطاب لرسول صلى الله عليه وسلم أي تقرب بهذه الأعمال إلي ربك وذلك للتنويه بما في الصلاة من رضي الله تعالى فقد جعل المصلى قريباً من الله تعالى .

ولذلك أيضاً عطفت جملة واقترب على جملة واسجد.

وقد يكون الخطاب لأبي جهل ويكون الأمر في ذلك قد خرج عن معناه الحقيقي إلي التهكم والاحتقار لأبي جهل أي أن كنت تجترئ فأتقرب حتى ترى كيف تهلك.

---

(١) تفسير الفخر الرازي ٣٢/٢٦ .

(٢) سورة المزمل آية " ٢ " .

(٣) أخرجه ابن ماجه في سنه تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ١/٤٥٦كتاب إقامة الصلاة باب ما جاء في طول القيام في الصلوات.

طبع المكتبة العلمية بيروت .

سند الإمام أحمد ٦/١١٥ طبع بيروت .

الخـاتمة

حمـد لله ، وشـكراً على ما أعان ووفق وسدد ، له الحمد ، وله الشكر ، وله الثناء الحسن الجميل .

فمـن المعـروف أن إعجـاز القرآن الكريم سيظل دائماً مجال بحث ودرس لا ينضـب معينه مهما طالت القرون ، وتوالت الأجيال ، ولما كانت البلاغة سر هذا الإعجاز وجب أن نلتمس أسبابها، وندرك مظاهرها .

ويرغبه صدقة منى في الارتباط بأبحاث القرآن الكريم ، وهذا ما اقتطعته على نفسي من وعد ، اكتب الآن خاتمة هذا البحث والذي سمي بـ

{ من الإعجاز البلاغي في سورة العلق }

وقـد بينـت فيه كيف اختبرت ألفاظ السورة تخيراً دقيقاً ، لتدل على معانيها فـي دقة وأحكام ، فلا تستطيع كلمة أخرى توفية المعنى الذي وفت به أختها وعقبـت ذلـك بمـدى وحـدة وتلاؤم وتناسق آيات هذه السورة كي تتضح الفكرة وتنجلي .

ثـم طبقـت تطبيقاً فنياً على مصطلحات علوم البلاغة الثلاثة حتى يتبين مدى إعجاز النظم القرآني وأحكامه.

أرجـو بذلك أن أكون قد وفقت في استخراج بعض ما في السورة الكريمة من أسرار بلاغية ، وأن يكلل هذا العمل بالقبول ، فلا أزعم وما ينبغي لي أنني قد اجتلبت أسرار البيان القرآني المعجزة في السورة ،ولكنها محاولة ابتغى معها ثـواب المسعى وشرف الوسيلة والقربى ، فإن الإعجاز البياني للقرآن الكريم يفـوق كـل محاولة لتجديده ، ويجاوز كل طاقاتنا في أسرار بيانه الباهر فإن كنـت قـد وفقت فيما قصدت فهذا فضل من الله على عباد، وأن تكن الأخرى فحسبي أني مجتهد أصيب وأخطئ.

والله أسأل التوفيق والسداد ، وأن يهدينا سواء السبيل

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الخـاتمة

حمـد لله ، وشـكراً على ما أعان ووفق وسدد ، له الحمد ، وله الشكر ، وله الثناء الحسن الجميل .

فمـن المعـروف أن إعجـاز القرآن الكريم سيظل دائماً مجال بحث ودرس لا ينضـب معينه مهما طالت القرون ، وتوالت الأجيال ، ولما كانت البلاغة سر هذا الإعجاز وجب أن نلتمس أسبابها، وندرك مظاهرها .

ويرغبه صدقة منى في الارتباط بأبحاث القرآن الكريم ، وهذا ما اقتطعته على نفسي من وعد ، اكتب الآن خاتمة هذا البحث والذي سمي بـ

{ من الإعجاز البلاغي في سورة العلق }

وقـد بينـت فيه كيف اختبرت ألفاظ السورة تخيراً دقيقاً ، لتدل على معانيها فـي دقة وأحكام ، فلا تستطيع كلمة أخرى توفية المعنى الذي وفت به أختها وعقبـت ذلـك بمـدى وحـدة وتلاؤم وتناسق آيات هذه السورة كي تتضح الفكرة وتنجلي .

ثـم طبقـت تطبيقاً فنياً على مصطلحات علوم البلاغة الثلاثة حتى يتبين مدى إعجاز النظم القرآني وأحكامه.

أرجـو بذلك أن أكون قد وفقت في استخراج بعض ما في السورة الكريمة من أسرار بلاغية ، وأن يكلل هذا العمل بالقبول ، فلا أزعم وما ينبغي لي أنني قد اجتلبت أسرار البيان القرآني المعجزة في السورة ،ولكنها محاولة ابتغى معها ثـواب المسعى وشرف الوسيلة والقربى ، فإن الإعجاز البياني للقرآن الكريم يفـوق كـل محاولة لتجديده ، ويجاوز كل طاقاتنا في أسرار بيانه الباهر فإن كنـت قـد وفقت فيما قصدت فهذا فضل من الله على عباد، وأن تكن الأخرى فحسبي أني مجتهد أصيب وأخطئ.

والله أسأل التوفيق والسداد ، وأن يهدينا سواء السبيل

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

فهرسة الآيات القرآنية

الآية	رقم الآية	الصفحة
سورة البقرة		
أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ	٥	٥٩٦
أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ	١٢	٥٨٢
من كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ	٩٨	٥٦٣
وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ	١٧٧	٥٦٦
وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ	٢٨١	٥٨٣
سورة النساء		
قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ	٧٧	٥٩٣
سورة الأنعام		
قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ	١٩	٥٤٥
قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ	٤٧	٥٩١
قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ.....	١٥١	٥٤٠
سورة يونس		
وإذا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَائِماً	١٢	٥٩٧
سورة يوسف		
وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا	٨٢	٦٠٥
سورة الإسراء		
سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ	١	٥٩٤
وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ	١٠٦	٥٥٧

سورة الكهف		
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الكِتَابَ	١	٥٩٤
إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً	٣٠	٥٧٥
أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ	٣١	٥٧٥
أَكفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً	٣٧	٥٦٧
سورة مريم		
وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الكِبَرِ عِتِيّاً	٨	٥٤٨
أَطَّلَعَ الغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْداً	٧٨	٥٩١
سورة طه		
اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى	٢٤	٥٨٤
سورة الحج		
يا أَيُّها النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ البَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً	٥	٥٦٥
يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ	٧٣	٥٦١
سورة المؤمنون		
فَتَعَالَى اللَّهُ المَلِكُ الحَقُّ لاَ إِلَهَ إِلاَ هُوَ رَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ	١١٦	٥٧٠
سورة الفرقان		
واتَّخذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لاَ يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ	٣	٥٤٦

سورة النمل		
مَا لِيَ لاَ أَرَى الهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الغَائِبِينَ	٢٠	٥٩١
وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ	٤٠	٥٧٠
سورة العنكبوت		
وما كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلاَ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لاَّرْتَابَ المُبْطِلُونَ	٤٨	٥٧٧
سورة لقمان		
ولئن سأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ	٢٥	٥٦٠
سورة الأحزاب		
لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ	٤٣	٥٧٩
سورة فاطر		
يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ	١٣	٥٧٩
سورة يس		
أَوَ لَمْ يَرَ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ	٧٧	٥٦٧
وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي العِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ	٧٨	٥٦٧
قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ	٧٩	٥٦٧
سورة الشورى		
وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ	٢٧	٥٨٧
سورة الحجرات		

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ	١٣	٥٧٠
قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ	١٤	٥٥٠
سورة القمر		
يَدْعُ الدَّاعِ	٦	٦٠٧
سورة الرحمن		
وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلالِ وَالإِكْرَامِ	٢٧	٥٧٠
فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالأَقْدَامِ	٤١	٦٠٢
تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الجَلالِ وَالإِكْرَامِ	٧٨	٥٧٠
سورة القلم		
إِنَّا لَمَّا طَغَى المَاءُ	٤	٥٤٨
فَلاَ تُطِعِ المُكَذِّبِينَ	٨	٦٠٩
سورة الحاقة		
إِنَّا لَمَّا طَغَى المَاءُ	١١	٥٤٨
سورة المزمل		
قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً	٢	٦٠٩
سورة المدثر		
كَلاَّ وَالْقَمَرِ	٣٢	٥٨٢
سورة القيامة		

فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ	١٨	٥٥٧
وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ	٢٢	٦٠٣
إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ	٢٣	٦٠٣
سورة الإنسان		
إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً	٢	٥٦٧
إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً	٣	٥٦٧
سورة النبأ		
إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَاداً	٢١	٥٨٧
لِلطَّاغِينَ مَآباً	٢٢	٥٨٧
سورة عبس		
قُتِلَ الإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ	١٧	٥٦٧
مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ	١٨	٥٦٧
مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ	١٩	٥٦٧
ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ	٢٠	٥٦٧
ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ	٢١	٥٦٧
ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ	٢٢	٥٦٧
سورة الإنشقاق		
يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَاقِيهِ	٦	٥٨٨
سورة الطارق		
فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ	٥	٥٦٧

خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ	٦	٥٦٧
يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ	٧	٥٦٧
إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ	٨	٥٦٧
سورة الغاشية		
هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ	١	٥٩١
سورة الماعون		
أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ	١	٥٩١
فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ	٢	٥٩١

فهرس الأحاديث النبوية

الحديث	الصفحة
- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني جاورت بحراء ، فلما قضيت جواري نزلت فاستبطت الوادي ، فنزلت أمامي وخلفي وعن يميني وشمالي ، ثم نظرت إلي السماء فإذا هو : يعني جبريل فأخذتني رجفة ، فأتيت خديجة ، فأمرتهم فدثروني فأنزل الله " يا أيها المدثر قم فأنذر " .	٥٤٠
- عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها : ..... قال : ما أنا بقارئ	٥٣٨
- عن أبي عبد الله قال : من قرأ في يومه أو في ليلته " اقرأ باسم ربك " ثم مات في يومه أو في ليلته مات شهيداً أو أحياه كم ضرب بسيفه في سبيل الله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.	٥٤٢
- عن أبي بن كعب: عن النبي صلى الله عليه وسلم : من قرأها فكأنما قرأ المفصل كله.	٥٤٢

فهرس الأشعار

الصدر	العجز	الشاعر	الصفحة
اقلب	الذنوبا	المتنبي	٥٨٠
وننكر	نقول	السمو أل	٥٧٨
لا تعجبي	فبكى	المتنبي	٥٧٩

فهرس المراجع والمصادر

١- (الإتقان في علوم القرآن) للسيوطي طبع الحلي الطبعة الرابعة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

٢- (إرشـــاد العقل السليم إلي مزايا القرآن الكريم) لأبي السعود طبع دار أحياء التراث العربي بيروت - لبنان.

٣- أسباب النزول للنيسابوري بهامش المصحف المفسر لابن جرير الطبري طبع دار الغد العربي.

٤- أسرار البلاغة للأمام عبد القاهر الجرجاني شرح د/ محمد عبد المـــنعم خفاجي الطبعة الثانية نشر مكتبة القاهرة ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.

٥- الإعجـــاز البياني للقرآن الكريم ومسائل ابن الأزرق د/ عائشة عد الرحمن طبع دار المعارف .

٦- الإعجـــاز الفني للقرآن الكريم لعمر السلامي ، نشر وتوزيع مؤسسات عبد الكريم عبد الله ، تونس ١٩٨٠م.

٧- إعجاز القرآن الكريم النبوية لمصطفى صادق الرافعي .

٨- إعراب القرآن وبيانه لمحي الدين الدرويس طبع اليمامة ، دار ابن كثير - دمشق -بيروت ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٩- إعـــلام النســـاء في عالمي العرب والإسلام لعمر رضا كحاله - طبع مؤسسة الرسالة الطبعة الخامسة.

١٠- الأقصى القريب - للتنوخي طبع السعد الطبعة الأولى ١٣٢٧هـ.

١١- الأكسير في علم التفسير - للطوخي البغدادي تحقيق أ.د/ عبد القادر حسين طبع دار الأوزاعي بيروت - لبنان ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

١٢- انباه الرواه على أبناء النحاة - للقفطي.

١٣- الإيضاح في علوم البلاغة - للخطيب القزويني .

١٤- البحر المحيط - لابن حيان طبع دار الفكر طبعة ثانية ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م.

١٥- البديع-لابن المعتز تحقيق كراتشونسكي، طبع مصر ١٩٤٥م.

١٦- البديع في نقد الشعر - لأسامة بن منقذ ، تحقيق د/ أحمد بدوي ، د/ حامد عبد المجيد، طبع الحلبي ١٩٦٠م.

١٧- البرهان في علوم القرآن - للزركشي . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم نشر مكتبة دار التراث القاهرة.

١٨- البرهان في وجوه البيان - لابن وهب تحقيق د/ حفني شرف الطبعة الأولى طبع مطبعة الرسالة .

١٩- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاه - للسيوطي ، تحقيق/ محمد أبو الفضل نشر المكتبة العصرية حيداً .

٢٠- البيان والتبيين - للجاحظ تحقيق / عبد السلام هارون طبع مصر ١٩٤٩م.

٢١- تجريد العلاقة البناني على متن التلخيص - طبع المطبعة العلمية الطبعة الأولى ١٣١٥هـ .

٢٢- تحريـــر التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن لابـــن أبـــي الأصـــبع المصـــري ، تحقيق د/ حفني شرف طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

٢٣- التصـــوير الفنـــي في القرآن الكريم - لسيد قطب ، طبع دار الشروق ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٢٤- التفســـير البلاغـــي للاســـتفهام في القرآن الكريم - د / عبد العظيم إبراهيم المطعنى نشر مكتبة وهبة الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م.

٢٥- التفســـير البياني للقرآن الكريم . د/ عائشة عبد الرحمن طبع دار المعرفة.

٢٦- تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل. ضبط الشـــيخ / عبد الرازق المهدي . طبع دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٢٧- تفســـير الـــتحرير والتـــنوير - للطاهـــر بن عاشور،طبع الدار التونسية تونس - ١٩٨٤م.

٢٨- تفســـير الفخـــر الرازي -طبع دار الفكر العربي الطبعة الأولى ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٢٩- تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - للألوسي طبع دار الغد العربي الطبعة الأولى.

٣٠-تفسير القرآني للقرآن - لعبد الكريم الخطيب ، طبع دار الفكر العربي.

٣١- تفسير الإمام محمد عبده - جزء عم طبع مطبع الشعب.

٣٢- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج د/ وهبة الزحيلي، طبع دار الفكر المعاصر بيروت - لبنان طبع دار الفكر- دمشق - سوريا.

٣٣- ثلاث وسائل في إعجاز القرآن الكريم - للرماني والخطابي والجرجاني . تحقيق وتعليق محمد خلف الله ، د/ محمد زغلول سلام . الطبعة الثامنة - در المعارف مصر ١٣٨٧هـ - ١٩٦٨م.

٣٤- الجامع لأحكام القرآن - للقرطبي . طبع دار أحياء التراث العربي . بيروت - لبنان ١٩٦٧م.

٣٥- حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي. طبع دار صادر بيروت.

٣٦- حاشية محي الدين زاده لمحمد بن مصلح الدين القوجوى تصحيح محمد عبد القادر شاهين . طبع دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٣٧- حسن التوسل - لشهاب الدين الحلبي طبع مصر ١٢٩٨هـ .

٣٨- خزانة الأدب وغاية الأرب - لابن حجة الحموى طبع المطبعة الخيرية الطبعة الأولى ١٣٠٤هـ .

٣٩- الخصائص - لابن جني تحقيق محمد علي النجار الطبعة الثانية بيروت.

٤٠- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية د / عبد العظيم المطعنى نشر مكتبة وهبة الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٤١- خلاصة المعاني - للحسين بن عثمان المفتي تحقيق أ.د/ عبد القادر حسين - طبع الناشرون العرب ، المملكة العربية السعودية.

٤٢- دلائل الإعجاز - للإمام عبد القاهر الجرجاني ، تعليق/ محمود محمد شاكر نشر مكتبة الخانجي - القاهرة.

٤٣- ديوان دعبل الخزاعي - تحقيق د/ محمد يوسف نجم طبع عيناني الجديدة بيروت ١٩٦٢م.

٤٤- ديوان السموال - طبع دار صادر بيروت.

٤٥- سر الفصاحة - لابن سنان الخفاجي طبع دار الكتب العلمية بيروت - لبنان الطبعة الأولى ١٩٨٢م - ١٤٠٢هـ.

٤٦- سنن ابن ماجه - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي طبع المكتبة العلمية بيروت.

٤٧- شذرت الذهب في أخبار من ذهب - لابن العماد الحنبلي طبع المكتبة التجارية - بيروت.

٤٨- شرح أحاديث من صحيح البخاري - أ.د/ محمد محمد أبو موسى نشر مكتبة وهبة الطبعة الاولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٤٩- شـرح التلخـيص- لمحمد بن أحمد البابرني،تحقيق د/ محمد مصـطفى رمضـان نشـر النشـأة العامـة للنشـر والتوزيع والإعلان،طرابلس الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ - ١٩٨٣م.

٥٠- شـرح ديـوان المتنبـي للعكـبري - تصحيح مصطفى السقا وآخرون الطبعة الاخيرة طبع الحلبي ١٩٧٢م.

٥١- شرح السعد المسمى مختصر المعاني - لسعد الدين التنتازاني تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد طبع مطبعة صبيح.

٥٢- شـروح التلخـيص - للخطيـب القزويني وآخرون طبع دار السرور - بيروت - لبنان .

٥٣- الصـناعتين الكـتابة والشعر - لأبي هلال العسكري تحقيق د/ مفـيد قمـيحة طبع دار الكتب العلمية بيروت - لبنان - الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٥٤- الطاقة الروحية - لهنرى برجسون ترجمة سامي الدروبي طبع مطبعة دار الرائد للطباعة طبعة أولى القاهرة ١٩٦٣م.

٥٥- الطـراز المتضـمن لأسـرار الـبلاغة وعلوم حقائق الإعجاز للعلـوي مراجعة جماعة من العلماء بإشراف الناشر ، طبع دار الكتب العلمية بيرت - لبنان .

٥٦- عروس الأفراح - شرح تلخيص المفتاح للبهاء السبكي تحقيق د / فايزة عبد الحميد رسالة دكتوراه.

٥٧- العمـدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده - لابن رشيق تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد - طبع دار الجيل الطبعة الخامسة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٥٨- عمدة القاري شرح صحيح البخاري - للعيني طبع دار الفكر .

٥٩- الفاصـلة القرآنـية أ.د/ عـبد الفتاح لاشين طبع دار المريخ ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٦٠- فتح الباري بشرح صحيح البخاري - لابن حجر العقلاني طبع دار المعرفة بيروت - لبنان .

٦١- الفـروق فـي اللغة - لأبي هل العسكري تحقيق لجنة احياء التراث العربي طبع منشورات دار الأفاق الجديدة بيروت - لبنان الطبعة الخامسة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٦٢- الفهرست - لابن النديم طبع دار المعرفة بيروت - لبنان .

٦٣- فـي ظلال القرآن الكريم -لسيد قطب طبع دار الشروق الطبعة الثانية عشر ١٩٨٦م ١٤٠٦هـ .

٦٤- قـبس مـن البيان القرآني - أ.د/ محمد حسن شرشر الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٦٥- قصـار السـور نظرات وتأملات - أ.د/ عبد القادر حسين طبع مؤسسة الخليج العربي.

٦٦- الكشـاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل - للزمخشري طبع دار الفكر ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٦٧- الكشف الآلهي عن شديد الضعف والموضوع والواهي - للطرابلسي السندورسي تحقيق وتخريج د / محمد أحمد بكار طبعة مكتبة الطالب الجامعي مكة المكرمة.

٦٨- لسان العرب - لابن منظور طبع دار المعارف.

٦٩- اللباب في علوم الكتاب - لعمر بن على الدمشقي الحنبلي ، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، الشيخ علي محمد معوض ، طبع دار الكتب العلمية - بيروت .

٧٠- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر - لابن الأثير ، تقديم وتحقيق د/ أحمد الحوفي ، د/ بدوي طبانه . طبع دار نهضة مصر الطبعة الثانية.

٧١- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - للعراقي وابن حجر نشر دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان - الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٧٢- مجمع البيان في تفسير القرآن - للطبرسي طبع دار المعرفة .

٧٣- المحرر الوجيز-لابن عطية تحقيق المجلس العلمي بتارودانت ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٧٤- المستدرك على الصحيحين - للينسابوري طبع دار المعرفة - بيروت - لبنان .

٧٥- مسند الإمم أحمد بن حنبل - طبع بيروت .

٧٦- لمطول على التلخيص - للتنتازاني ، طبع مطبعة أحمد كامل.

٧٧- معاني التراكيب - أ.د/ عبد الفتاح لاشين نشر دار الكتاب الجامعي القاهرة ١٩٩٨م.

٧٨- معجم البلدان -لياقوت الحموي طبع دار صادر - دار بيروت.

٧٩- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. محمد فؤاد عبد الباقي - طبع دار الحديث - القاهرة الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٨٠- المعجم المفهرس في علوم البديع والبيان والمعاني د / أنعام فوال عكاوي راجعه أحمد شمس الدين طبع دار الكتب العلمية بيروت لبنان - الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٨١- مفتاح العلوم للسكاكي تعليق نعيم زرزور طبع دار الكتب العلمية بيروت.

٨٢- المفردات في غريب القرآن - للراغب الأصفهاني تحقيق محمد سيد كيلاني مطبعة الحلبي الطبعة الأولى ١٣٨١هـ - ١٩٦١م.

٨٣- من بلاغة القرآن الكريم- د/أحمد بدوي طبع دار نهضة مصر.

٨٤- من بلاغة النظم القرآني - د/ بسيوني عبد الفتاح فيود طبع مطبعة الحسين الإسلامية الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٨٥- النبأ العظيم - د/ محمد عبد الله دراز الطبعة الثانية ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.

٨٦- نتائج الفكر في النحو - لسهيلي تحقيق د / محمد إبراهيم البنا منشورت كاريونس ١٩٧٨م.

٨٧- نشأ النحو وتاريخ أشهر النحاة - للشيخ الطنطاوي طبع مطبعة السعادة .

٨٨- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور - للإمام أبي الحسن البقاعي وضح حواشيه عبد الرازق غالب المهدي طبع دار الكتب العلمية بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٨٩- نقد الشعر - لقدامه بن جعفر تحقيق / محمد عبد المنعم خفاجي نشر مكتبة الكليات الأزهرية الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٩٠- نهاية الأرب - للنويري طبع دار الكتب المصرية ١٩٣٧م.

٩١- النهر الماد - لأبي حيان بهامش البحر المحيط طبع دار أحياء التراث العربي بيروت - لبنان .

٩٢- وفيات الأعيان - لابن خلكان تحقيق إحسان عباس ، طبع دار الثقافة بيروت - لبنان ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

فهرس موضوعات البحث

المقدمة..... ٥٣٢
تمهيد ٥٣٣
التعريف بالسورة ٥٣٦
تسميتها ٥٣٦
مناسبتها ٥٣٧
كيفية نزولها ٥٣٨
أغراض السورة ٥٤١
فضل سورة العلق ٥٤٢
الفصل الأول ٥٤٣
المبحث الأول : الفظة القرآنية وكيفية اختيارها ٥٤٤
المبحث الثاني : التلاؤم والتناسق في السورة ٥٥١
الفصل الثاني ٥٥٤
خصائص النظم القرآني في السورة ٥٥٤
الخاتمة ٦١٠
فهرس الآيات القرآنية ٦١١
فهرس الأحاديث ٦١٧
فهرس الأشعار ٦١٨
فهرس المراجع والمصادر ٦١٩
فهرس موضوعات البحث ٦٢٩